



مكتبة سديم الملكية | SADEEM ROYAL LIBRARY

"الغموض ليس مجرد قصة، بل تجربة نعيشها بين السطور"

أهلاً بك أيها القارئ في رحاب شبكة سديم.

بين يديك الآن نسخة فريدة من روائع سيدة الغموض "أجاثا كريستي".

لقد تم اختيار هذا العمل بعناية، بعد البحث والتقصي عنه

لضمان تجربة قراءة تليق بذائقتك الرفيعة.

حقوق النسخة: حصري لشبكة سديم.

للמיד من الروايات، انضم إلينا:

الموقع الرسمي: sadim.cloud

قناتنا على التليجرام: t.me/SADIM_NETWORK

قراءة ممتعة.. ولا تنس أن اللغز دائماً يبدأ من هنا!

اجاثا كريستي



موعد مع الموت

موعد مع الموت

- 3 -

بناراد الّسطه

يقدم

الرواية المعربة

موعد مع الموت

(86)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجانا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الإدارة العامة والتوزيع

فاكس 00 961 9 212 665

تليفون 00 961 9 212 666

ص.ب 374 جونية - لبنان

Email:info@inter-press.org

www.inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي - دار البشير

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة مرئية أو صوتية... إلخ

إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

The Man in the brown suit

(1924)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م .
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر الجديدة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبأية وسيلة كانت ...
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

لقد ألع عليّ الكثيرون بأن أكتب هذه القصة ، فلم أر مناصا من الاستجابة إلى هذا الإلحاح .

بيد أنني لا أكتمك أيها القارئ أن بعض الوقائع قد فاتتني ، فكان لابد أن أستعين بمذكرات السيد "أوستاس بيدلر" لأنقل عنها ما أسد به هذه الثغرات .



كان أبي البروفيسور "بيدنجفيلد" من أكبر العلماء في "إنجلترا" في علم الإنسان البدائي . وكانت مؤلفاته مرجعا نفسيا ، ولكنه مات فقيرا ؛ لأن كتبه لم تكن تلقى لها سوقا إلا عند العلماء دون الجماهير ، فكان ما يطبع منها محدودا يدر عليه دخلا قليلا .

ولما مات أبي اضطررت إلى أن أهجر القرية التي نشأت فيها ، وأن أستقر في "لندن" ، سعيا وراء عمل أرزق منه .

وذاث يوم من أيام شهر كانون الثاني (يناير) - الثامن منه - كنت راجعة من لقاء فاشل مع سيدة زعمت في إعلانها أنها في حاجة إلى سكرتيرة ، فلما تناولنا في الأمر أدركت أنها إنما تريد في الواقع شغالة لا سكرتيرة .

وهبطت الدرج المؤدي إلى نفق القطار الكهربائي ، وذهبت أتمشى على الرصيف أتربق قطاري . وبلغت نهاية النفق ، وكان المكان خاليا ليس فيه أحد من الركاب سوى رجل واحد ، كان واقفا على الرصيف ينتظر قدوم القطار .

ومررت بالرجل وتجاوزته ، وعند ذلك نفثت من صدري عطسة شديدة فقد كان معطف الرجل يفوح بالنفثالين ، الذي يزكم الأنوف . وكانت رائحة النفثالين النفاذة أشد مما أحتمل ، كان الرجل ضئيل الجسم ، نحيف البنية ، تشوب وجهه سمرة واضحة ، وله عينان زرقاوان ولحية صغيرة سوداء .

وفي هذه اللحظة استدار الرجل كأنما ليتابع المشي على رصيف القطار . وتطلع

إليّ برهة ، ثم تجاوزت عيناه كتفي إلى شيء ورائي ، فانقلبت سحنته، وتبدت في سيماه أمارات الخوف ، بل الهلع . وارتد الرجل خطوة إلى الوراء كأنما ليتقي خطرا داهما مفاجئا ، ونسي وهو في غمرة ذعره أنه كان واقفا على حافة الرصيف ، وسقط فوق القضبان والأسلاك المكهربة ، فانبعث منها وميض صاعق وفرقة شيء يحترق .

وأطلقت صرخة مدوية ، وهرع الناس راكضين على صرختي . لقد صعق التيار الكهربائي الرجل المسكين . ونقل رجال المحطة الجثة إلى الرصيف . وبرز من بين الجمع رجل طويل القامة رمادي اللحية عريض المنكبين ذو رأس منبعج ، وهو يقول :

– اسمحوا لي أن أمر .. إنني طبيب .

وانحنى فوق الرجل المسجى فوق الرصيف ، ومضى يفحصه .. ثم ما لبث أن انتصب قائما وهو يقول :

– لا أمل يرجى ... إنه ميت دون شك .

وداخلني شعور بالغثيان ، وهولت أنشد المصعد ، وكان الطبيب الذي فحص الجثة يتقدمني بخطوة أو خطوتين .

ورأيت المصعد يهبط ويخرج منه مستقلوه ، وأسرع الطبيب يجري ليلحق به قبل أن يعاود الصعود ، وفيما هو يفعل ذلك سقطت منه ورقة استقرت على الأرض . وانحنيت ألتقط رقعة الورق ، وجريت بعقبه لأعيدها إليه ، ولكن بابي المصعد كانا قد انطبقا ، وأخذ يصعد .

ولم يكن مدونا بالرقعة إلا بضعة أرقام وكلمتان . وكان هذا هو نصها :

" 17 . 22 . 1 قصر كيلموردن " .

وهمت بان أقذف بالورقة إلى قارعة الشارع وأمضي في طريقي ، ولكن زكم أنفي في هذه اللحظة رائحة النفتالين النفاذة ، وكانت هذه الرائحة منبعثة من الورقة التي بين يدي ..

وعقدت ما بين حاجبي مفكرة : لهذه الورقة رائحة النفتالين ولعطف الرجل الذي وقع فوق القضبان نفس الرائحة - فما معنى هذا .. ؟
لا بد أن هذه القصاصة كانت في جيب الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة وأن الطبيب نشلها وهو يفحص الجثة .

وطويت الورقة ودسستها في حقيبتي ، وعدت إلى بيت السيد "فليمنج" ..
الحامي الذي كان يتولى شئون أبي وقد تفضل واستضافني في بيته بـ "لندن" بعد أن كاشفني بالحقيقة المؤلمة . وهي أن أبي لم يترك لي سوى ثمانين جنيتها هي كل ثروته .

ورويت للسيدة "فليمنج" ما كان من أمر المأساة التي شهدتها ، ثم لذت بغرفتي ، وأسلمت نفسي إلى التفكير .

بدأت أتمثل ما حدث على رصيف المحطة .. الجثة المسجاة على الأرض .. الطبيب المجهول يبرز من بين الصفوف .. الطبيب يفحص الجثة .. الطبيب .. وهنا فطنت إلى شيء لم أنتبه إليه إذ ذاك .. شيء عجيب لا يمكن أن يصدر من طبيب .
ونزلت إلى قاعة المائدة لتناول العشاء . وقالت السيدة "فليمنج" :

- لا شك في أنهم سوف يستدعونك لحضور جلسة التحقيق .

عقدت جلسة التحقيق ، وصحبني السيد "فليمنج" إلى المحكمة وتبين من التحقيق أن الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي يدعى "ل . ب . كارتون" . ولم يجد رجال الشرطة في جيبه إلا تصريحاً من أحد سماسرة العقارات يخوله الحق في مشاهدة بيت معروض للإيجار على ضفة النهر بالقرب من "مارلو" معروف باسم "فيللا الطاحونة" .. ومن هذا التصريح استطاعت الشرطة أن تستدل على اسمه المدون به وهو "ل . ب . كارتون" المقيم في فندق "راسل" . وقد تعرف كاتب استعلامات الفندق على الجثة ، وقرر أن الرجل نزل بفندقه في اليوم السابق ، ودون اسمه في السجل على أنه قادم من "كمبرلي" بـ "جنوب إفريقيا" ، وبداله أنه قادم مباشرة من الباخرة .

ولقد كنت الوحيدة بين الشهود التي تعرف شيئا عن الحادث .

وسألني قاضي التحقيق :

– أتعتقدين أن الحادث كان قضاء وقدرًا ؟

– إنني على يقين من هذا . لقد أفزعني شيء ما ، فارتدت خطوة إلى الوراء دون أن

يفطن إلى أنه واقف على حافة الرصيف فسقط على القضبان .

– ولكن ما الذي أفزعك .. ؟

– هذا ما لا أعلم لي به .

وعقب القاضي على شهادتي بأن أصدر قراره بأن الحادث إما أن يكون قد وقع

قضاء وقدرًا ، أو أن الرجل تعمد أن يلقي بنفسه على القضبان المكهربة بغية

الانتحار .

ثم استتلى القاضي يقول :

– ولكن العجيب أن الطبيب الذي قام بفحص الجثة لم يتقدم للإدلاء بأقواله . ومما

يؤسف له أن أحدا من رجال الشرطة لم يفكر في أن يسأله عن اسمه وعنوانه .

وارتسمت على شفتي ابتسامة خفيفة وأنا أستمع إلى كلمات القاضي ، فقد

كنت الوحيدة التي أعتقد أن هذا الحادث لم يكن قضاء وقدرًا ، وأن له جوانبه

الخفية .

ولذلك استقر عزمي منذ هذه اللحظة على أن أقوم لحسابي الخاص بمهمة الشرطي

السري .



حملت إلي صحف الصباح التالي مفاجأة مذهلة لم أكن أتوقعها، فقد صدرت

صحيفة الـ"ديلي بادجيت" وفي صدرها النبأ التالي بالخط العريض :

"العثور على امرأة مخنوقة في فيللا الطاحونة المشعومة" .

وكان هذا نص ما نشرته الصحيفة :

"اكتشف بالأمس مأساة رهيبة في "فيللا الطاحونة" في "مارلو" التي يملكها السيد "أوستاس بيدلر" عضو البرلمان وهو البيت نفسه الذي عثرت الشرطة على تصريح بزيارته في جيب ذلك الرجل المدعو "كارتون" الذي صعقته القضبان المكهربة . وذلك أن الحارسة عثرت على جثة امرأة حسناء في إحدى غرف الطابق العلوي وقد قتلت خنقا ، ويقال إن القتيلة امرأة أجنبية الجنسية ومازال التحقيق جاريا . أما السيد "أوستاس بيدلر" فمتغيب الآن عن "إنجلترا" حيث يقضي فصل الصيف في "الريفيرا" .

- 2 -

أسفر التحقيق في الحادث الجديد عن الحقائق التالية :

بعد الساعة الواحدة من ظهر اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) دخلت امرأة أنيقة تتحدث بلكنة أجنبية إلى مكاتب السيدين "بتلر وبارك" وشركائهما سماسرة العقارات في "فايتسبريدج" ، وأبدت رغبتها في استئجار أو شراء بيت على ضفاف نهر "التيمز" ، على أن يكون قريبا من "لندن" . وعرض عليها السماسرة قائمة بما لديهم من بيوت كان من بينها "فيللا الطاحونة" . وذكرت المرأة أنها تدعى السيدة "دي كاستينا" ، وأنها مقيمة في فندق "ريتز" . ولكن تبين بعد مصرعها أنها ليست نزيلة في هذا الفندق .

واستدعيت للشهادة السيدة "جيمس" زوجة بستاني السيد "أوستاس بيدلر" ، وهي الحارسة التي تشرف على الفيللا ، فقررت في أقوالها : إنه في الساعة الثالثة من اليوم نفسه حضرت السيدة لمشاهدة المنزل ، وأبرزت تصريحها من السماسرة يخولها الحق في زيارته ، وزودتها السيدة "جيمس" بالمفاتيح ، فمضت إليه وحدها دون أن تصحبها المشرفة . وبعد بضع دقائق حضر شاب وصفته السيدة "جيمس" بأنه عريض المنكبين حليق اللحية يرتدي سترة رمادية . وذكر للمشرفة أنه صديق للسيدة التي سبقته .

وبعد خمس دقائق ظهر الشاب مرة أخرى وأعاد إليها المفاتيح ، وذكر لها أن البيت لم يناسبهما . ولم تكن السيدة الأجنبية في صحبة الشاب ، فخطر للسيدة "جيمس" أنها لا بد أن تكون قد سبقته إلى الطريق . ولكن الذي لم تفتن إليه إذ ذاك أن الشاب كان يبدو عندئذ منزعجا قلعا . وقالت : " كان يبدو وكأنه رأى شبحا " .

وفي اليوم التالي جاء رجل بصحبته سيدة لمشاهدة المنزل واكتشفا الجثة مسجاة على الأرض في إحدى غرف الطابق الأعلى . وتعرفت السيدة "جيمس" الجثة بأنها تلك المرأة الأجنبية التي جاءت في اليوم السابق ، كما تعرفها السماسرة بأنها تلك التي قدمت نفسها إليهم باسم السيدة "كاستينا" . وقرر الطبيب الشرعي أن الوفاة حدثت منذ أربع وعشرين ساعة .

وذهبت صحيفة الـ"ديلي بادجيت" إلى أنه من المحتمل أن يتبادر إلى الذهن أن رجل النفق الذي صعقه التيار الكهربائي هو الذي قتل المرأة ثم انتحر بعد ذلك . ولكن لما كان الرجل قد مات في الساعة الثانية . بينما كانت المرأة لا تزال على قيد الحياة في الساعة الثالثة ، فلا شك منطقيا أنه لا شأن لأي من الحادثتين بالأخرى . أما التصريح بزيارة "فيللا الطاحونة" الذي وجد في جيب قتيل النفق ، والتصريح الآخر الذي جاءت به قتيلة الفيللا فلم يكن أمرهما إلا مجرد مصادفة بحتة . وكان قرار قاضي التحقيق هو "توجيه تهمة القتل العمد ضد شخص أو أشخاص مجهولين" .

وهكذا انطلق رجال الشرطة ومخبرو صحيفة الـ"ديلي بادجيت" يبحثون عن الشاب ذي السترة الرمادية الذي جاء بعقب القتيلة عند ذهابها لمشاهدة "فيللا الطاحونة" .

وقد عثرت الشرطة في حقيبتها السوداء الحريرية على كيس مليء بأوراق النقد وحفنة من النقد الفضي ومنديل حريري ، وتذكرة الإياب إلى "لندن" . ولكن لا شيء آخر يمكن أن يكشف عن شخصيتها .

كانت هذه هي التفاصيل التي نشرتها الـ"دبلي بادجيت" عن هذه الأحداث ، وقد عقت عليها بقولها :

"ابحثوا عن الشاب ذي السترة الرمادية" . وكانت في كل يوم تكرر هذا النداء ولا تفتأ تردده .

وهكذا استقر في أذهان الناس أن حادث "فيللا الطاحونة" كان جريمة قتل متعمدة ، أما حادث النفق فكان مجرد قضاء وقدر .

فهل كان حقيقة قضاء وقدرًا .. ؟

ذهبت إلى "اسكتلانديارد" ، وقابلت المفتش "ميدوز" ، وتبادلنا التحية في هدوء ودعاني إلى الجلوس ، وسألني أن أدلي إليه بما لدي من معلومات . وقلت له :

- إنك سمعت بالتأكيد بحادث قتل النفق .. الرجل الذي عثروا في جيبه على تصريح بزيارة "فيللا الطاحونة" .

فقال المفتش "ميدوز" في سآمة واستخفاف :

- آه .. ! أنت إذن الأنسة "بيدمجفيلد" التي أدلت بشهادتها في المحكمة .. نعم

- نعم .. كان في جيب الرجل تصريح بالتفرج على الفيللا ، وهذا التصريح

موجود لدى كثيرين غيره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم لابد أن يقتلوا .

وسألني استخفافه وقلت له :

- ولكن ألا ترى أن من الغريب أنه لم يكن في جيب الرجل تذكرة الإياب .. ؟

- لا يبدو الأمر غريبًا ، والكثيرون يفقدون تذاكرهم بسهولة .. أنا نفسي سبق

أن فقدت تذكرتي أكثر من مرة .

- ألم تلاحظ أنه لم يكن معه شيء من النقود .. ؟

- كانت معه بعض قطع من النقود المعدنية .

- ولكنكم لم تعثروا على محفظته .

- كثيرون من الناس لا يحملون محافظ على الإطلاق .

ورأيت أن أخرج من ناحية أخرى .. قلت :

- أليس غريبا أن الطبيب الذي فحص جثة قتيل النفق لم يتقدم إلى قاضي التحقيق للإدلاء بشهادته .. ؟

- وما وجه الغرابة في ذلك .. ؟ إن الأطباء قوم مشغولون لا يجدون لحظة فراغ للتوجه إلى المحاكم .

فقلت في غيظ وحنق :

- إنك مصرًا سيدي المفتش على ألا تجد وجهًا للغرابة في أي شيء أشير إليه .

فقال المفتش وعلى شفثيه ابتسامة استخفاف :

- إنني أرى يا آنسة "بيدنجفيلد" أنك فتاة واسعة الخيال تتخيلين أشياء لا وجود لها ، وأنا كما ترين رجل مشغول .

وأدركت أنه يوحى إلي بالانصراف . وكان في الغرفة ضابط آخر رأى أن يتدخل في الحديث قائلاً :

- أرى أنه يحسن بالآنسة "بيدنجفيلد" أن تدلي إلينا بما لديها من معلومات .

فقال المفتش "ميدوز" متهكما :

- هيا حدثيني بما تريدني .

ولذتُ بالصمت إذ شعرت بأن كرامتي قد أهينت .

وقال المفتش :

- إنك قررت في التحقيق أن الحادث لا يمكن أن يكون انتحارا ، فما الذي دفعك

إلى هذا الاعتقاد .. ؟

- لاني رأيت على وجه الرجل قبل أن يقع فوق الأسلاك المكهربة دلائل الخوف

والفزع ، فما الذي أخافه .. ؟ لست أنا بالتأكيد ، ولكن ربما كان هناك رجل

يتمشى على الرصيف هو الذي أثار رعبه .

- ولكنك لم تري هذا الرجل .. ؟

- كلا . فإني لم أدر رأسي . وفور أن رفعت الجثة من فوق القضبان تقدم رجل

من بين صفوف الجماهير ، ومضى يفحص الجثة .

فغقب المفتش في جفاء :

- هذا أمر طبيعي .

فقلت :

- ولكن هذا الرجل لم يكن طبيبا .

فبدت الدهشة في وجهه وتساءل :

- وكيف عرفت هذا يا آنسة "بيدنجفيلد" ..؟

فقلت :

- في أثناء الحرب كنت أعمل ممرضة في المستشفيات العسكرية ، ورأيت الأطباء

وهم يفحصون الجثث ، ولهم في ذلك طريقة واحدة لا تكاد تختلف . كما أن

الطبيب يعرف بداهة أن القلب في الجهة اليسرى من الصدر ، أما هذا الطبيب

المزعوم فكان يتحسس النبض في الجهة اليمنى .

- هل فعل ذلك حقا ..؟

- بالتأكيد ، وإن كنت لم أفطن إلى ذلك إلا فيما بعد عندما تخيلت وضع الجثة

وموقف الطبيب .

- لعلك واهمة أو مخطئة .

- إن الذي أريد أن أقوله هو أن هذا الرجل طبيب كاذب مدع ، ولا شك في أن

غرضه من فحص الجثة هو الاستيلاء على حافظة القتيل؛ ولذلك لم تعثر الشرطة

على حافظة في جيبه .

- هل لك أن تصفي الرجل .؟

- طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفا أسود ، وله لحية صغيرة سوداء

مدبية وفوق عينيه إطار سميك ورأسه منيعج .

فقال المفتش مزمجرا :

- هذه أوصاف لا تؤدي إلى شيء فمن السهل اتخاذ اللحية والنظارات وسيلة

للتنكر .

وعقابا له على تشككه واستهانته بأقواله آثرت أن اكنتم عنه نبا القصاصة التي سقطت من الطبيب وهو يهرع خارجا من المحطة .

- 3 -

بعد شيء من التردد . انطلقت إلى بيت اللورد "ناسبي" . صاحب صحيفة "الديلي بادجيت" .

كان من المشكوك فيه أن يقابل مثل هذا الرجل خطير الشأن أي إنسان يطرق بابه، ولكنني اتخذت الحيلة لذلك ، فأخذت معي بطاقة تحمل اسم المركيز "دي لومسلي" ، عثرت عليها في بيت السيد "فليمنج" ، وهو من مشاهير الصيادين الذين تردد الصحف أسماءهم .

ودون وازع من ضمير أو بادرة من الندم سطرت على البطاقة هذه الكلمات :
"أرجوك أن تمنح الأنسة "بيدنجفيلد" بضع دقائق من وقتك" .

وأفلحت الخدعة ، واستقبلني اللورد "ناسبي" على الفور معتقدا أنني سكرتيرة الصياد ذائع الشهرة .

وسألني في اقتضاب :

— ما الذي يبغيه المركيز "دي لومسلي" .. ؟ إنك بالتأكيد سكرتيرته .. ؟

وفي برود وهدوء أجبت :

— أريد أن أبدأ بأن أقول إنني لا أعرف المركيز "دي لومسلي" ، وهو أيضا لا يعرف شيئا عني ، والبطاقة التي بعثت بها إليك أخذتها سرا من البيت الذي أقيم فيه . أما الكلمات المسطورة على البطاقة فأنا التي كتبتها بنفسني . وقد فعلت هذا لأنني أردت أن أقابلك لأمر مهم .

حملق إلي المليونيير برهة ، وخيل إلي لحظة أنه يهم بأن يصرخ في وجهي ويطرطني من بيته ، ولكنه أخيرا ازدد ريقه مرتين ، وخاطبني في هدوء قائلا :

- إنني معجب بثبات أعصابك أيتها الشابة .. والآن هانتذي قد قابلتني ، فإن راق لي حديثك فسوف أمنتك دقيقتين من وقتي .

فأجبت :

- إنهما كافيتان جدا ، وسوف يثير حديثي اهتمامك .. إنه يتعلق بلغز " فيللا الطاحونة" .

وفي إيجاز سردت عليه كل ما لدي من معلومات عن حادث قتل النفق ، فلما فرغت من حديثي سألتني فجأة :

- ما الذي تعرفينه عن شكل الرؤوس الآدمية ؟ فإنك ذكرت لي أن رأس الطبيب المزعوم كان منبعجاً .

وذكرت له أن أبي كان من مشاهير رجال الحفريات وعلم الأجناس ، وأن هذا كان مصدر خبرتي .

وقال :

- إن ما لديك من معلومات ضئيل غير قاطع ، ولا يمكن أن نتخذه أساسا لخطة نسير على هداها .

- إنني أعلم هذا ..

- إذن فما الذي تبغين مني ..؟

- أريد أن تعينني مخبرة بصحيفتك ليتسنى لي متابعة الأمر والتحري عن خفياها .

- لا يسعني أن أفعل هذا فإن لدي محررا خاصا يتولى مثل هذه الشؤون .

- ولكن ليس لديه معلوماتي .

- وهل تحتفظين بشيء آخر خلاف ما ذكرته لي .. ؟

فلما أوامات إجابا تساءل :

- وما هذا الشيء يا ترى ..؟

- عندما استقل الطبيب المزعوم المصعد ليخرج إلى الشارع سقطت من جيبه

قصاصة من الورق ، فما كان مني إلا أن التقطتها ، وكانت تفروح منها رائحة
النفثالين ، أي الرائحة نفسها التي كانت تنبعث من معطف القتيل ، فادركت على
الفور أن الطبيب استولى عليها من جيب القتيل . وكان مسطورا على الورقة بضعة
أرقام وكلمات . .

- إذن دعينا نر هذه القصاصة .

ومد إلي يده فقلت باسمه :

- إنها "سري" الذي أحتفظ به لنفسى .

واستطرد اللورد :

- اسمعي .. يمكنك أن تتابعي البحث ، فإذا اهتديت إلى شيء ذي أهمية
فابعثي به إلي ، وعند ذلك أقرر ما إذا كنت تصلحين محررة في الـ "ديلي بادجيت"
أم لا .. يجب أولا أن تقدمي إلي شيئا مفيدا ..
وبعد لحظات كنت في الطريق وقد استطارني الفرح .

- 4 -

ما إن عدت إلى البيت حتى أخرجت القصاصة التي وقعت من الطبيب المزعوم
وانكبيت عليها أتأملها .

كان هناك خمسة أرقام ، كما كان هناك نقطة بعد الرقمين الأولين من ناحية
اليسار .

وغمغمت أقول لنفسى : 17 ثم 22 ثم 1 ، ولكن أي معنى لهذا .. ؟ إنها أرقام
بلا معنى .

ثم عدت أجمعها : $8 = 7 + 1$ ثم $13 = 2 + 2 + 1$.

وأردفت أخاطب نفسي : والعدد 13 رقم منحوس ، فهل أراد الطبيب المزعوم أن
يقدم إنذارا .. ؟ كان أولى به أن يكتب الإنذار واضحا أي رقم 13 مجردا .

ثم لاحظت أن هناك مسافة فراغ صغيرة بين الرقم 1 والرقم 2 ، فهل لذلك الفراغ

معنى ..؟ وبدأت أولي اهتمامي للكلمات المسطورة على القصاصة .
كانت الكلمة هي "قصر كيلموردن" ، وهذا بدون شك اسم مكان ما ، فلعله
بيت إحدى الأسر الأرستقراطية .

فما الذي ترمي إليه هذه العبارة .؟ وريث مخطوف أو غائب ..؟ رجل يطالب
باللقب ..؟ كنز مدفون ..؟ أو ربما كان القصر مهدما خربا .

وأخذت بنظرية الكنز المدفون ، فالأرقام عادة تدل على عدد الخطوات التي
يمشيها الإنسان أماما أو يسارا أو يمينا لكي يصل إلى الكنز المخبوء . ولكن الأهم من
هذا أن أعرف أين يقع قصر "كيلموردن" ..

ومضيت إلى المكتبة وعدت بعد ساعة أحمل مجموعة من كتب الدليل التي
تتحدث عن تاريخ النبلاء والقصور الأثرية العتيقة ، وبدأت أتصفحها بحثا عن
كلمة "كيلموردن" ولكنني لم أعثر فيها على أثر لهذه الكلمة .

وخطرت لي فكرة أخرى .. ربما كان هذا المكان فندقا أو مقهى فإذا كان الأمر
كذلك فسوف أجد مشقة كبرى في الاهتداء إلى المكان؛ إذ يستحيل علي أن أرتاد
"لندن" بما فيها من شوارع لا حصر لها سعيا وراء هذا المكان قصر "كيلموردن" ..

ثم ما أدراني أن هذا المكان المجهول في "لندن" وليس في مدينة أخرى ..؟
واستولت علي الحيرة ، ولم أعد أدري كيف أتصرف ، وخطر لي أنه لا بد أن أزور
قبل كل شيء مكان الجريمة . وذهبت إلى مكتب السماسرة فعرضوا علي قائمة
بالبيوت الخالية ، ولكنهم لم يذكروا من بينها "قيللا الطاحونة" .

- أليس لديك شيء آخر ..؟

وأجاب الكاتب في شيء من التردد :

- بلى .. ولكن الواقع أن لدينا ذلك البيت المعروف باسم "قيللا الطاحونة" .

- أتعني البيت الذي عشروا فيه على امرأة مخنوقة ..؟ حسنا .. أعطني تصريحاً

بزيارته ، فإنه إن أعجبني فلا شك في أنهم سيخفزون إجباره مراعاة لهذه
الظروف ، وأكون أنا الرابعة .

وبعد نصف الساعة كنت أطرق باب السيدة " جيمس " المشرفة على " فيللا الطاحونة " . وسالتني :

- ألم تقرئي نبا الفاجعة التي وقعت هنا .. ؟
وأجبت :

- بل قرأتها ، ولكنني لا أبالي .. إذا أعجبني فلن أتردد في أن أستأجره .
- إنك في الحق فتاة شجاعة .
واستطردت تتحدث عن القاتل !
قالت :

- إنه رجل أنيق الثياب حلو المعشر لطيف الحديث . وكان يرتدي سترة رمادية حسنة التفصيل ، وله مشية عسكرية ، ولا شك في أنه كان جنديا .
- ولكن ما شأنه بهذه المرأة حتى يقتلها .. ؟
- من يدري .. ؟ لعل هذه المرأة الأجنبية كانت صديقه ثم خانته وغدرت به .
وسالتها :

- أكانت شقراء أم سوداء الشعر .. ؟
- بل كانت ذات شعر أسود ، لكن وجهها كان شديد البياض . ولها شفتان رفيعتان مضمومتان تدلان على القسوة .
- وهل كانت تبدو عصبية مهتاجة الأعصاب .. ؟
- بل على العكس كانت هادئة ، ولا تكاد الابتسامة تزايل شفتيها .
- والسيد " أوستاس بيدلر " صاحب البيت .. أمازال في مدينة " كان " ؟
- لقد حضر بعد سماعه بالمأساة ، وفي صحبته سكرتيره السيد " باجيت " الذي ضاعف أجري حتى لا أستقيل .

- وما المدة التي أمضاها القاتل داخل البيت .. ؟
- إنه لم يلبث فيه أكثر من خمس دقائق ، ثم جاء إلي يحمل المفاتيح ، ولم أفطن إذ ذاك إلي أنه كان بادي الانفعال والانزعاج .

وكنت حريصة على أن أوجه إليها أسئلتى بطريقة عارضة حتى لا تظن إلى أنني أقوم باستجوابها ، ولكنني وجدتني مضطرة إلى أن أوجه إليها هذا السؤال :

- ولكن ما شكل رأسه ..؟ أهو مفلطح أم منبجج ..؟

- لا هذا ولا ذاك .. إنه رأس عادي الشكل كغيره من الناس .

ثم ناولتني المفاتيح ، وذهبت إلى "فيللا الطاحونة" وأنا أفكر فيما سمعت منها وفيما رأيت بعيني .

إن الأوصاف التي أدلت بها السيدة "جيمس" لا تنطبق على قتيل النفق ، فهو إذن لم يكن هو الذي دخل بعقبها .

ولم يكن لدي شك في أن قتيل النفق اتفق مع المرأة الأجنبية على اللقاء في "فيللا الطاحونة" لسبب ما ، وحصل كل منهما على تصريح بزيارة البيت .

ولكن حدث وهو ينتظر القطار ليلحق بها أن لمح الطبيب المزعوم ، فاستولى عليه الرعب لأن بينهما معرفة سابقة ، وسقط على القضبان ومات مصعوقا بالتيار الكهربائي . وأسرع الطبيب المزعوم إلى الفيللا ، وفاجأ المرأة وقتلها .

كانت هذه هي نظريتي ، فهل أستطيع أن أقيم الدليل على صحتها ؟

ودسست المفتاح في ثقب الباب وفتحته ودخلت ، وشعرت برجفة ورهبة ، فقد كان يخيم على البيت شبح الموت .

- 5 -

تناولت مفكرتي من حقيبتني ، وخططت عليها بالقلم الرصاص رسما كروكيا لغرفة الجريمة وأبوابها ومنافذها .

وبينما أنا أعيد القلم إلى الحقيبة انفلت مني ونفذ من تحت باب دولاب صغير مشيد في الجدار تحت النافذة . وفتحت باب الدولاب فتدحرج القلم مرة أخرى ، واستقر في أحد الأركان ، فمددت يدي إلى داخله أتحمس المكان بحثا عن القلم ولمست شيئا فاخرجته ، فإذا به لفافة فيلم أسطوانية الشكل .

وساءلت نفسي : أيكون فيلما قديما مملوكا لصاحب البيت السيد "أوستاس بيدلر" نسيه في الدولار ، أم يكون هو الشيء الذي جاءت المرأة الأجنبية إلى البيت ، ثم القاتل في إثرها لكي يبحث عنه ؟

وتساءلت : "من الذي أودع هذا الفيلم في الدولار ؟ أهى المرأة أم الرجل؟ وذكرت أن محتويات حقيبة القتيلة كانت سليمة لم تمس ، فلو أنها فتحت في أثناء عراكها مع القاتل وانزلق منها الفيلم لكان محتملا جدا أن تنزلق منها أيضا بعض قطع النقد المعدنية . ولما كان هذا لم يحدث فأرجح الظن إذن أن الرجل هو الذي وضع الفيلم في الدولار" .

وشممت الفيلم فإذا برائحة النفثالين تفوح منه بشدة ، كما فاحت من قبل من معطف القتل ومن القصاصَة التي سقطت من يد الطبيب المزعوم .

وعثرت على قطعة صغيرة من القماش عالقة بحافة الدولار ، فعرفت أنها هي مصدر هذه الرائحة . فهل يكون قتل النفق هو الذي أودع الفيلم في الدولار؟ ولكن لا .. إن الطبيب المزعوم هو الذي استولى على الفيلم من جيب قتل النفق كما استولى على قصاصة الورق وقد انزلق منه الفيلم إلى الدولار في أثناء عراكه مع المرأة .

وأعدت المفاتيح إلى حارسه الفيلا ورجعت إلى المدينة .

وفي البيت عدت أفحص قصاصة الورق من جديد ، وأحاول أن أجد لأرقامها وكلماتها تفسيراً جديداً .

فلنفترض أن هذه الأرقام 1.22.17 تماثل تاريخ يوم معين ، فما يكون هذا اليوم؟ ألا يجوز أن يكون اليوم السابع عشر من الشهر الأول أي شهر يناير (كانون الثاني) سنة 1922 ولا معنى للرقم 22 - أو اليوم الثاني والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) ولا معنى للرقم 17 .

ولكن يجب أن أهتدي سريعا إلى هذا المكان المسمى "قصر كيلموردن" فإننا اليوم في الرابع عشر من شهر يناير (كانون الثاني) سنة 1922 ، فلم يبق وقت

على اليوم الموعود (يوم 17) إلا أياما ثلاثة .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي ذهبت مبكرة إلى محل "كوداك" ،
وطلبت من العامل أن يحمض لي الفيلم ، فلما فحصه نظر إلي في استغراب وقال :
- لا شك في أنك أخطأت يا سيدتي فهذا هو الجزء غير الحساس من الفيلم .
وغادرت المحل وأنا أشعر بالخيبة والفشل .

وبينما أنا راجعة إلى داري لمحت في إحدى واجهات المكاتب السياحية صورة
سفينة تشغل الواجهة وقد كتب تحتها : "الباخرة قصر كيلموردن" .

إذن فهذا هو "المكان المجهول" الذي حفيت قدماي بحثا عنه ؟

ودفعت باب المكتب وسالت عن مواعيد الباخرة "قصر كيلموردن" ، وأتاني
الجواب بأنها ستغادر ميناء "ساوث هامبتون" يوم 17 الجاري في طريقها إلى
"كيب تاون" .

ولم أتردد لحظة واحدة .. خاطرت بكل ما أملك من مال لاحجز لنفسني تذكرة
على الباخرة "كيلموردن" .

- 6 -

مقتطفات من مذكرات

السيد "أوستاس بيدلر" عضو البرلمان

سكرتيري الخاص "جاي باجيت" شاء أن يدفع بي إلى خضم الأحداث العنيفة
المثيرة ، فقد دخل عليّ ذات يوم وبين يديه برقية مفضوضة ، وعلى وجهه أمارات
العبوس .

و"باجيت" - إن كنت لا تعلم - سكرتير مجد نشط لا يفكر في شيء إلا
العمل . وفي الأسبوع الماضي أخذ يتحدث عن "فلورنسا" وجمال جوها وروعة
تمثيلها وتحفها ، فخطر لي أن أريح نفسي منه ولو أسبوعا واحدا ، فابتدرته بقولي :

– غدا ستسافر يا صديقي العزيز إلى "فلورنسا" وساتكفل بجميع نفقاتك .
وكانت نفقاته ثمنا رخيصا للراحة التي شعرت بها في اثناء غيابه ، فقد فعلت
خلال هذا الأسبوع كل ما يحلو لي ، غير واقع تحت سيطرة سكرتير يوجهني
ويرشدني إلى ما يجب أن أفعل أو لا أفعل .

ولكنني حين فوجئت به ذات صباح والبرقية في يده عرفت أن عهد الحرية قد
انتهى . وقال لي :

– إنها من "مارلو" ! .. لقد قُتلت امرأة في "فيللا الطاحونة" .

فضربت كفا بكف وقلت وقد ثار اهتمامي :

– ولماذا في بيتي أنا بالذات دون الناس أجمعين ! ولكن من الذي قتلها؟ ومن
تكون هذه المرأة ؟

– لم يرد في البرقية شيء عن هذا .. وأظن أنه يجب أن نعود إلى "إنجلترا" على
الفور ، إذ لا بد أن تستمع الشرطة إلى أقوالك .

وكان على حق في هذا ، فلم يكن أمامي مفر من أن أقطع رحلتي وأتخلى عن
إجازتي في "الريفيرا" .

سافرت إلى "إنجلترا" ، وهدأت من نائرة السيدة "جيمس" حتى لا تتخلى عن
حراسة "فيللا الطاحونة" ، ولكي أرضيها وأغريها ضاعفت أجرها .

وفي النادي التقيت بـ "أوجستوس ميلاري" أحد كبار موظفي وزارة الخارجية
ومال إلى أذني وقال همسا :

– لقد اكتشفنا أخيرا وثائق خطيرة يجب أن نسلمها فوراً إلى الجنرال
"سمطس" ، ولكن يكاد يكون من المستحيل أن نفعل هذا خشية أن يتعقب
الجواسيس مندوبنا .

ولوح "أوجستوس ميلاري" بيده وهو يقول :

– هل صحيح ما بلغني من أنك تنوي أن تسافر قريبا إلى "جنوب إفريقيا" ؟
إنك مساهم فيما أعلم في بعض الشركات الكبيرة في "روديسيا" .

فأجبت :

- أصبت ، وفي نيتي أن أزور شركاتي بعد شهر تقريبا .
- ألا يمكنك أن تعجل بهذه الزيارة ؟ ألا يمكنك أن تقوم بها هذا الأسبوع بالذات ؟

- أستطيع بالتأكيد ، ولكن ما الذي يدعوني إلى هذا ؟
- إنك بذلك تسدي لبلادك خدمة جلية .. ويريد الوزير أن يعهد إليك بالوثائق التي ينبغي تسليمها للجنرال "سمطس" .. إن الجواسيس لن يرتابوا في أمرك لأنك رجل أعمال لا شأن لك بالسياسة .
فتريشت برهة أتدبر الأمر ، ثم قلت :
- لا بأس .. لقد قبلت .
فقال :

- شكرا لك يا "بيدلر" .. إنني لن أنسى لك هذه المنة .. غدا سأبعث إليك باللفافة مع رسول خاص ، وعليك أن تسلمها إلى الجنرال "سمطس" يدا بيد ، والباخرة "قصر كيلموردن" ستبرح الميناء يوم السبت القادم فاحجز لك مقصورة فيها .

وغادرنا النادي معا ، ووقفنا على الإفريز قبل أن نفترق وهو يكرر عبارات الشكر، ويذكرني بأن أحجز لي مكانا على الباخرة "قصر كيلموردن" .
وفي مساء اليوم التالي جاء إلى بيتي رجل يطلب مقابلتني ، وذكر لخادمي أنه موفد إلي من السيد "ميلاري" بوزارة الخارجية وقال لي الزائر :
- لقد أوفدني السيد "ميلاري" لأصحبك إلى "جنوب إفريقييا" بصفتي سكرتيرا لك .

فقلت :

- لدي سكرتيري الخاص .
- ولكنه متغيب الآن .

– هذا لأنه مصاب بالصفراء .
– وهل أنت على يقين حقا من أنه مريض بالصفراء ؟
إن السيد "ميلاري" يتوقع أن يهاجم الجواسيس سكرتيرك ليزيحوه عن الطريق ؛
ولذلك يريد منك أن تصطحبني لأكون بديلا عنه ، ولأتولى في الوقت ذاته السهر
عليك .

فقلت في استسلام :

– فليكن إذن .

– ولكن أرجو أن تكتم عن كل إنسان أنني سأرافقك . فليكن الأمر سرا بيني
وبينك ، كما أرجو أن تعد جواز السفر الخاص بي ، وأن تذكر فيه أنني سكرتيرك .

وحين هم بالانصراف سألته :

– وبهذه المناسبة ما اسمك ؟

فأجاب :

– أظن أن "هاري رايبورن" يمكن أن يكون اسما مناسباً لائقاً .

- 7 -

("آن بيدنجفيلد" تتابع سرد قصتها)

ليس من الغريب أن يصاب المرء بدوار البحر ، فأسرعت إلى مقصورتي ولبثت
فيها ثلاثة أيام طريحة الفراش ، وقد نسيت المهمة التي سافرت من أجلها . وفي
اليوم الرابع لملازمتي الفراش في مقصورتي جاءت إليّ الوصيصة تحثني على أن أصدق
إلى السطح لاستمتع بالهواء الطلق ، فاستجبت إلى نصحتها ، وتدنرت باغطية
ثقيلة ، وتهالكت فوق أحد مقاعد البحر ، وأنا واهنة ضعيفة بادية الإعياء .

وأقبل عليّ أحد الركاب يحييني وقال :

– لو أنك تطلعت إلى وجهك في المرآة لرثيت لنفسك ، فإنك مصفرة الوجه في

غاية من الضعف .

فقلت :

- هذا صحيح فإني أشعر بأني متعبة جدا .

فاستطرد :

- غدا ترسو الباخرة في الخليج ، وسوف أصحبك في القارب إلى الشاطئ .

ولبث معي بضع دقائق يحاول أن يسري عني بالحديث ، ثم مضى منصرفا

ورحمني من ثرثرته .

وأخذت أتطلع إلى المسافرين واسترعت بصري سيدة في نحو الثلاثين من عمرها ،

وفي تصفيف شعرها لمسة من ذوق "باريس" ، وكان في خطوها الثابت ما يوحي

بأنها تعتقد أنها ربة السفينة ومالكتها .

وتمنيت لو أنني تعرفت إليها لأبادلها الحديث .

وعند ظهر اليوم التالي ألقى الباخرة مراسيها في خليج "ماديرا" ، وكنت لا أزال

أحس بالإعياء ، فاكثفت بالتطلع إلى الشاطئ .

ونزلت الحسنة المتعالية إلى الشاطئ ، وحين رجعت كان في صحبتها رجل طويل

القامة أسود الشعر ملوح البشرة ذو خطو عسكري ، وكان قد سبق لي أن لمحته في

الصباح الباكر يتمشى على سطح المركب .

وحين حملت إليّ وصيفة الباخرة بطانية إضافية عندما اشتدت برودة الجو سألتها

عمن تكون هذه الحسنة المتعالية الأنيقة .

وأجابتنني :

- إنها إحدى سيدات المجتمع الشهيرات .. السيدة "كلارنس بلير" ، ولا شك

في أنك رأيت صورها كثيرا في الصحف وقرأت عنها .

وكانت السيدة "بلير" معروفة بأنها من أكثر النساء أناقة ، وأنها إحدى نجومات

المجتمع ، ولاحظت أن جميع الرجال في السفينة يحومون حولها ، ويحاولون أن

يتقربوا إليها ، ولكنها كانت تصدهم في لطف ورقة .

وفوجئت صباح اليوم التالي بالسيدة "بلير" تتوقف عند مقعدي وتساألني عن

صحتي راجية أن أكون قد أصبحت أحسن حالا ، فشكرتها على تلتطفها
ومجالمتها .

وقالت السيدة "بليير" وهي تجلس على كرسي بجانيبي :

- إن الهواء في أغلب مقصورات السفن فاسد ، فهل مقصورتك داخلية أم
تشرف على الماء ؟

فلما أجبته بأنها مقصورة داخلية قالت :

- يالك من مسكينة ! ولم لا تبدلين بها غيرها ؟ لقد غادر السفينة كثير من
الركاب في "ماديرا" ، فخلت مقصورات كثيرة .. تحدثني إلى المراقب ونحن إلى
مائدة الغداء فينقلك إلى مقصورة أخرى .. إنه شاب لطيف وقد نقلني إلى
مقصورة جميلة عندما أفضيت إليه برغبتي .

ثم دست يدها تحت ذراعي وهي تقول :

- هيا تحاملي على نفسك واستندي إلى ذراعي لنتمشى قليلا ..

ولحق بنا زميلها الكولونيل "ريس" بعد لحظات قائلا :

- إن قمة جبل "تينيريف" تتراءى من الناحية الأخرى من السفينة ، فيحسن بنا
أن نلتقط لها صورة على سبيل التذكار .

وكانت قمة الجبل مغطاة بالثلوج فأسرعت السيدة "بليير" إلى مقصورتها لتأتي
بآلة التصوير .

وعادت بها خلال لحظات ، وهمت بأن تلتقط بعض الصور للجبل ، ولكنها ما
لبثت أن غمغت :

- وا أسفاه ! . لقد فرغ الفيلم ..

فقال الكولونيل يمازحها :

- هكذا الطفل دائما : لا يعرف كيف يستفيد من اللعبة التي بين يديه .

فضحكت السيدة "بليير" وقالت :

- ولكن الطفل مازال يحتفظ بفيلم آخر احتياطي .

وأخرجت فيلما جديدا من جيب سترتها ، ولكن هزة فجائية من المركب أدت إلى اختلال توازنها فتشبثت بسيج السفينة ، وانفلت الفيلم من بين أصابعها فطار عبر السياج .

وتساءلت السيدة "بليير" :

- ترى هل سقط في البحر أم استقر في الطابق السفلي .

وأجابها الكولونيل "ريس" :

- أغلب الظن أنه وقع في الماء .

وفي هذه اللحظة دوى نفير الطعام يدعو الركاب إلى تناول الفطور ، فهبطوا جميعا إلى قاعة المائدة .

وطلبت من المراقب أن ينقلني إلى مقصورة أخرى تشرف على البحر بدلا من تلك المقصورة الداخلية الخائقة التي أشغلها ، فوعد بتلبية رغبتني .

وأثار انتباهي بين الجالسين إلى الموائد رجل لم ألقه من قبل ، كان طويل القامة أسمر الوجه ، له سحنة ترتسم عليها معالم القسوة والشر والخشونة .

وكان مراقب السفينة يشاركني مائدتني فاستفسرته عن الرجل فقال :

- إنه سكرتير السيد "أوستاس بيدلر" ، وكان قد لزم مقصورته منذ بداية الرحلة مصابا بدوار البحر ، وهو يدعى "باجيت" . وللسيد "أوستاس" سكرتير ثان ، ولكنه لم يظهر حتى هذه اللحظة إذ أنهكه الدوار فلاذ بغرفته .

- إذن فالسيد "أوستاس بيدلر" من بين ركاب هذه الباخرة . إنها مصادفة عجيبة ، ولكنها رائعة سوف تتيح لي مقابلة صاحب البيت الذي خنقت فيه الحسنة الأجنبية .

واستطرد المراقب :

- والسيد "أوستاس" هو ذلك البدين الجالس إلى المائدة بجانب الريان .

وتأملت وجه السكرتير "باجيت" ، وازدادت مقتنا له .. كان له وجه شاحب ، ورأس منبعج ، ومعالم سحنته تثير التقزز لما فيها من سمات الشر .

وما إن غادر مائدته حتى كنت بعقبه ، وسمعته يقول للسيد "أوستاس" :
- سأطلب منهم أن يغيروا المقصورة في الحال بأخرى أكثر اتساعا ، أو أن يعطونا
مقصورة إضافية ، فإن العمل مستحيل في مقصورتنا والحقائب مكدسة فيها بهذا
الشكل .

ثم تابعت طريقي فلم أتبين ما دار بينهما من حديث بعد ذلك .
ووجدت الوصيف المكلف بمقصورتي منهما في نقل حاجاتي ، فابتدرني
بقوله :

- إن مقصورتك الجديدة التي ستنتقلن إليها رائعة .. المقصورة رقم 13 .
- رقم 13 ! يا إلهي ! .. إنني أتشاءم من هذا الرقم .. ألا توجد مقصورة
أخرى خالية ؟

ففكر الوصيف هنيهة ثم قال :

- نعم .. المقصورة رقم 17 .. لقد خلت هذا الصباح ولكنها خصصت لشخص
آخر ، غير أن متاعه لم ينقل إليها بعد ، وما أحسب أنه سيرفض أن ينزل لك عنها .
وأسرع الوصيف إلى المراقب يستأذنه في نقل متاعي إلى المقصورة رقم 17 ، وما
لبث أن عاد متهللا وقد أحرز الموافقة ، وقادني من فوري إلى مقصورتي الجديدة .
وفي هذه اللحظة ظهر ببابي ذو السحنة المتوحشة ، وأعني به "باجيت" سكرتير
السيد "أوستاس" ، وقال :

- ولكن معذرة يا آنسة .. إن هذه المقصورة محجوزة للسيد "أوستاس بيدلر" .
فأجابته الوصيف :

- لقد حجزت لكم رقم 13 بدلا منها وهي أوسع وأرحب .

- ولكن رقم 17 هي المحجوزة باسمنا ، وأنا لا أريد سواها .

وارتفع صوت جديد يقول :

- عفوا أيها السادة .. إن رقم 17 هي مقصورتي .

وكان القادم الجديد هو قس شاطرنبي الطعام ذات مرة وصدع رأسي بحديثه الممل

المتكرر عن ضرورة نشر المسيحية بين الإفريقيين السود المساكين .

ورد عليه " باجيت " قائلا :

– رقم 17 محجوزة للسيد "أوستاس بيدلر" .

وقال الوصيف يخاطب القس :

– إنك يا سيدي ستنزل في رقم 28 .

– إنني مصر على رقم 17 فقد وعدت بأن تحجز لي

وهكذا كنا ثلاثة نتنازع على المقصورة رقم 17 : أنا ، و" باجيت " سكرتير السيد

"أوستاس بيدلر" ، ثم القس " شيستر " .

وأخذنا نتجادل واشتد بيننا النقاش وعلت أصواتنا ، فما كان مني إلا أن

انسحبت فجأة ، وأسرعت إلى المراقب . وبذلك الصوت النسائي الرقيق الذي

ينبض إغراء قلت له :

– إنك وعدتني برقم 17 ، ولن تخذلني بالتأكيد .

ولم يخذلني الرجل بالتأكيد ، وكيف يفعل وقد كانت نظراتي إليه تفيض أنوثة

وإغراء .

وفي المساء ذهبت إلى مقصورتي الجديدة رقم 17 فوجدت الوصيف ينتظرني

ببابها ووجهه متجههم ، وابتدرني :

– إن رائحة كريهة جدا تفوح من مقصورتك ، ولا أدري كيف حدث هذا

ياسيدتي .

وبالفعل كانت الرائحة النتنة لا تحتمل ولا تطاق ، وبحكم عملي كمرمضة في

أثناء الحرب أدركت على الفور أن هذه رائحة مادة " الحلتيت " – فمن يكون ذلك

الذي دس " الحلتيت " في غرفتي حتى يحملني على التخلي عنها ؟

لا شك في أنه واحد من الاثنين اللذين نازعاني عليها : " باجيت " أو القس

" شيستر " ..

فما السر في هذا التثبث بالمقصورة رقم 17 ؟

وفجأة برز الرقم 17 في ذهني وأثار الكثير من الاحتمالات ..
المقصورة رقمها 17 والباخرة أبحرت يوم 17، ثم القصاصه التي وقعت من
الطبيب المزعوم ومسطور عليها الرقم نفسه أي 1.22.17 مع اسم الباخرة " قصر
كيلموردن" ، وغدا هو يوم 22 من الشهر الاول أي يناير (كانون الثاني).
فهل المقصود برقم 17 هنا هو المقصورة رقم 17 ؟
لابد أن لهذه المقصورة سرا خفيا ، فما عسى أن يكون هذا السر ؟

- 8 -

في تلك الليلة أويت إلى فراشي مبكرة مدعية أنني مصابة بصداع شديد ،
ولكنني لم أسلم نفسي إلى النوم . بل رقدت في سريري يقظة منتبهة أترب ما
سوف يحدث ، فغدا هو يوم 22 المسطور على قصاصة الورق .
وأرسلت الساعة دقائقها .. إنها الواحدة بعد منتصف الليل .. وخفق قلبي
بشدة .

ولكن مهلا .. ما هذا ؟ وقع خطوات سريعة خفيفة تركض في الممر أمام
مقصورتي .

ثم فجأة دفع باب مقصورتي في عنف ، واقتحم المكان رجل كاد يسقط على
وجهه ، ورد الباب وراءه وهتف بي :

- أنقذيني .. أتوسل إليك .. إنهم بعقبني .

قفزت من الفراش ، وسحبت حقيبتي الضخمة من تحت الحوض ، وأشرت إليه بأن
يتوارى تحته ، ودفعت الحقيبة إلى الورا ، ورفعت غطاءها حتى تحجب جسمه عن
النظر ، ثم نفشت شعري ، وملت إلى الحقيبة وتناولت منها قطعة من الصابون .
فلو أن أحدا فتح الباب الآن ورآني منفوشة الشعر والصابونة في يدي لا يقن أنني
سأغسل شعري . ولا ستبعد - وهذه حالتي - أنني أخفي رجلا في غرفتي .

وقرع الباب وفتح ، دون أن ينتظر الطارق إذنا ، ورآني أمام الحوض أغسل شعري

والصابونة في يدي .

وحين أدرت رأسي رأيت إحدى وصيفات الباخرة -وصيفة لم أرها من قبل قالت

في احترام :

- معذرة يا سيدتي .. لقد خيل إلي أنك كنت تنادين .

فأجبت :

- كلا .. لم أكن أناذي .. لقد شعرت بصداع حاد فرأيت أن أغسل رأسي .

فقلت :

- لقد أفرط أحد الركاب في الشراب وخشينا أن يقتحم مقصورات السيدات

فيزعجهن .

فقلت :

- هذا أمر مزعج .

- إذا اقتحم غرفتك فبادري بقرع الجرس .

وأغلقت الباب وراءها ، وسحبت الحقيبة ، وأهبت بالرجل أن يخرج ، ولكنه لم

يلب النداء . وناديته مرة أخرى فلم يجب ، وهزته فلم يتحرك .

لا شك في أنه أفرط بالفعل في الشراب ، وغرق في النوم . وفجأة رأيت عيني بقعة

حمراء على أرض المكان .

واستجمعت كل قوتي وجررت الرجل إلى وسط المقصورة ، وعرفت أنه لم يكن

ميتا ، وإنما كان مغمى عليه ، وتبينت على الفور السبب في إغمائه .

كان هناك جرح صغير غائر تحت كتفه اليسرى .

ونزعت سترته ، ومضيت أغسل الجرح بالماء البارد ، فتحرك وانتبه من إغمائه ،

ثم تحامل على نفسه ونهض واقفا ، فقد كان قويا في عنفوان شبابه ..

وقال لي :

- شكرا لك .. إنني لا أريد شيئا آخر .

فقلت :

- ولكن يجب أن أضمد جرحك .
فأجاب :

- بل يجب أن أنصرف على الفور .
ومشى إلى الباب ، ولكنه ما لبث أن ترنح وكاد يسقط أرضا ، فتلقيته بين ذراعي
وأرقدته على الأريكة ، ومضيت أضمد الجرح بيد مدربة حاذقة ، وحين فرغت من
عملي كان قد استعاد حيويته ونشاطه .
وقلت له :

- والآن حدثني بما جرى .
فأجاب :

- يؤسفني أنني لن أستطيع أن أشبع فضولك .
ونهض واقفا واتجه إلى الباب واستقرت يده على المقبض .
وقلت له متحدية :

- كان يجب على الأقل أن تشكرني على أنني أنقذت حياتك .
فتأملني برهة ثم قال في لهجة شرسة :
- إنني لن أشكرك ، ولكنني لن أنكر فضلك علي ، وفي يوم ما ساوفيك دينك .
ثم فتح الباب وأولاني ظهره ، وما لبث أن غاب عن عيني وطوته ظلمات
الممشى .

- 9 -

حين صعدت إلى سطح الباخرة في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي أهلت
علي السيدة "بلير" تحييني بقولها :

- كيف حالك اليوم ؟

وأردفت السيدة "بلير" :

- يا لك من فتاة مسكينة لطيفة ! والآن هيا حدثيني عن نفسك أيتها النورية

الحسناء ... ما الذي يدعوك إلى زيارة "جنوب إفريقيا" ؟

وحدثتها عن أبي ، وكيف كان من كبار العلماء ..

– إذن فانت ابنة "شارل بيدنجفيلد" ذائع الصيت ؟

ثم قالت :

– ولكن ما بالك متعبة اليوم .. ؟ ألم تنامي جيدا .. ؟

فاومات بالإيجاب . فاردفت :

– أنا أيضا لم أتم جيدا ، فقد أيقظني من نومي في منتصف الليل وصيف أحمر

ليعيد إلي الفيلم الذي طار من يدي بالأمس عندما هممت بأن ألتقط صورة لقمة

الجبل . تصوري أن هذا الوصيف الأحمر أنفذ يده من فجوة أنبوبة التكييف

وأسقط الفيلم فوق وجهي فصرخت فرعا وأنا أحسبه فارا أراد أن ينقض علي !

ورأيت الكولونيل "ريس" مقبلا علينا فقلت :

– ها هو ذا رجلك قد جاء .

فقالت :

– إنه ليس رجلي ، بل هو مجرد صديق .

فنهضت واقفة وأنا أقول :

– لحظة واحدة ريثما ألف شعري بوشاح .

ومضيت إلى مقصورتني لأعود بالوشاح . على أنني ما كدت أفتح الدرج حتى

أيقنت أن يدا عبثت بحاجاتي ، وما إن ألقىت نظرة إلى الأدراج الأخرى حتى

أدركت أن اليد الخفية المجهولة امتدت إليها أيضا .

ترى من الذي فتش مقصورتني . ؟؟ وعم كانوا يبحثون ؟

ثم من يكون هذا الرجل الذي اقتحم مقصورتني في جوف الليل مصابا في

كتفه .. ؟

إنني لم ألتق به قط منذ أن ركبت الباخرة ، فأين كان مختبئا .. ؟ وهل هو أحد

موظفي السفينة أم أنه واحد من الركاب .. ؟ ولماذا هاجموه وطعنوه . ؟

وجلست على حافة الفراش ، ومضيت أحصي في ذهني من يمكن أن يكونوا محل شك واشتباه .

أولا : السيد " أوستاس بيدلر " ، هو صاحب " فيللا الطاحونة " التي وقعت فيها جريمة القتل .

ثانيا : السيد " باجيت " سكرتير السيد " أوستاس " ذو السحنة الشريرة ، فإن إصراره العجيب على النزول في المقصورة رقم 17 يدعو إلى الاشتباه .

ثالثا : القس المحترم " إدوارد شيستر " ، فهو أيضا كان مصرا على النزول في الغرفة رقم 17 .

ورأيت أن أبادر بالتحري عن هؤلاء الثلاثة والتحدث إليهم ، علني أكشف خبيثة طواياهم .

ورأيت القس المحترم مستندا إلى السياج يطل على البحر ويتناول قدحا من الشاي .

وأقبلت إليه أقول :

- أرجو أن تغفر لي تشبثي بالمقصورة رقم 17 .

فأجاب في فتور :

- إن المسيحي الصادق الإيمان لا ينقم على أحد ولا يمكن أن يحمل له ضغنا ، وكل ما هنالك أن المراقب وعدني بهذه المقصورة .

فقلت :

- إن مراقبي السفن قوم غارقون في العمل ، وكثيرا ما تختلط عليهم الأمور فينسبون وعودهم .

ولما لم يجب أردفت :

- أتلك أول رحلة لك إلى "جنوب إفريقيا" .. ؟

فقال :

- نعم ، وإن كنت قد أمضيت العامين الماضيين في "شرق إفريقيا" وسط القبائل

المتوحشة .

وفجأة ووادتني بادرة من الشك : إذا كان القس المحترم قد قضى سنتين في " شرق إفريقيا " فكيف لم تلوح الشمس بشرته ..؟ ذاك شيء يثير الشك ... أترأه قسا حقيقيا ، أم أنه مدع يمثل دور القس ..؟

وبينما أنا أتدبر هذه الخواطر رأيت السيد "أوستاس بيدلر" قادما ، وحين حاذى القس انحنى على الأرض والتقط قصاصة ناولها إلى الأب " شيستر " قائلا :

- يبدو أن هذه الورقة سقطت منك .

ثم تابع طريقه دون أن يفتن إلى ما عرا القس من اضطراب ، وإلى أنه كور الورقة في انفعال ، فأي سر كانت تطويه هذه الرقعة من الورق ؟ لاشك أنه اعتقد أن السيد "أوستاس" استطاع وهو يقدمها إليه أن يقرأ ما هو مسطور عليها ولذلك شحب وجهه واضطرب .

والتفت إلي القس يقول لكي ينفي شكوكي :

- إنها مسودة عظيمة كنت أكتبها .

وكان واضحا أنه يكذب ، وأن كلماته لم تخدعني .

ثم استأذن مني وانسحب مسرعا .

وبعد أن فرغت من تناول الغداء مضيت إلى قاعة الاستقبال فوجدت السيدة " بلير " تتناول قهوتها ، وفي رفقتها الكولونيل "ريس" والسيد "أوستاس بيدلر" وسكرتيره " باجيت " ، فانضمت إليهم ، وكانوا عندئذ يتحدثون عن "إيطاليا" وما بها من تماثيل وتحف رائعة .

وقال "أوستاس بيدلر" موجها الحديث إلى سكرتيره :

- وما رأيك أنت في الإيطاليين يا " باجيت " فإنك عائد لتوك من " فلورنسا " ..؟

كان سؤالها عاديا ، ولكن ما إن سمعه " باجيت " حتى بدا عليه الارتباك وتضرج وجهه أحمرارا ، وغغم ببعض كلمات غامضة ، ثم نهض على الفور واستأذن

منسحبا .

وقال السيد "أوستاس" ضاحكا :

- ما أعجب هذا .. كلما أشرت إلى "فلورنسا" في حديثي مع سكرتيري ارتبك واضطرب ، حتى ليخيل إلي أنه لابد أن يكون قد اقترف جريمة قتل في أثناء عطلته التي أمضاها هناك .

فقالَت السيدة "بلير" :

- أرجو ألا يغضبك يا سيد "أوستاس" أن أقول: « إن له سحنة شريرة كرجال العصابات » .

وتساءل الكولونيل "ريس" :

- هل أمضى في خدمتك وقتا طويلا ؟..

- ثماني سنوات وربما أكثر .. ومع ذلك فإن لك أن تطمئني يا سيدة "بلير" ، فالقاتل يحاول دائما أن يكون لطيفا ... أتذكرين المجرم الخطر "كريبين" ؟.. إنه كما يقولون: « كان من ألطف الناس وأرقهم حاشية » .

وسمعنا قرعة خلفنا ، وحين التفتنا وجدنا أن فنجان القهوة قد وقع من يد القس "شيستر" وتحطم .

وسألت نفسي : "لم اضطرب القس "شيستر" ووقع الفنجان من يده عند سماعه اسم المجرم "كريبين" يتردد في حديثنا ..؟ أيكون هو نفسه "كريبين" متنكرا في زي القسيس ؟"

وقالَت السيدة "بلير" :

- أعتقد أن رجال الشرطة قبضوا عليه وهو مسافر على إحدى البواخر ، ولكنه استطاع أن يهرب منهم .

وتفرق شملنا حين فرغنا من تناول القهوة ، ولحق بي الكولونيل "ريس" إلى سطح الباخرة وسألني :

- لم تتهرين مني يا آنسة "بيدنجفيلد" لقد بحثت عنك ليلة أمس دون جدوى

لأراقصك .

- لقد أويت إلى فراشي مبكرة إذ كنت متعبة .

- واللييلة ..؟ أتتوون أن تنامي مبكرة ..؟

- بل يسعدني أن أراقصك .

ولست أنكر أنني كنت أشعر بشيء من الميل نحو الكولونيل "ريس" .

وفي ذلك المساء راقصته عدة مرات ، وفي نهاية السهرة استرخينا على كراسي

البحر ، وأخذنا نتسامر .

وقال لي في معرض الحديث :

- أتعرفين يا آنسة "بيدنجفيلد" أنني أعتقد أنني سبق أن التقيت بأبيك ؟ لقد

كان عالما عظيما ...

ثم أردف :

- لقد درست أنا نفسي فيما مضى علم الأجناس عندما كنت في فرقة

"دوروني"

وأفاض في الحديث عن معلوماته الفنية ، وكان دون شك واسع الاطلاع ، بيد أنه

ارتكب غلطة جسيمة ، فقد ذكر أن عصر "موستيريا" كان تاليا لعصر

"أورنياسيا" ، بينما العكس هو الصحيح ... وهي غلطة لا تصدر ممن يعرف

بديهيات علم الأجناس .

وعندما أويت إلى فراشي دارت بخلدي فكرة طارئة ..

لماذا أطلت وأسهب في الحديث عن علم الأجناس ، وهو موضوع لا يلائم جلستنا

الشاعرية ..؟ أتراه كان يريد أن يختبرني ..؟ أتراه كان يعتقد أنني امرأة مدعية

كاذبة أنتحل اسما غير اسمي ، وأنني لست "آن بيدنجفيلد" ابنة العالم الشهير ،

فطرق هذا الموضوع ليتأكد من حقيقة أمري ..؟

ولكن لماذا ..؟ ما الذي يعنيه من أمري ..؟

ولماذا ارتاب في شأني ..؟

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

لقد قمت بالكثير من الرحلات البحرية ، حتى ألفت اهتزاز السفن وارتجاجها أما سكرتيري "باجيت" فما كاد يحط قدميه في المركب حتى أصيب بدوار البحر ، فلزم مقصورته ، أما سكرتيري الثاني فلم أره مطلقا إذ يبدو أنه هو الآخر أصيب بالدوار فلم يبرح مقصورته قط ، فأراحني من رؤية سحنته وهو الذي فرض عليّ فرضا ، وهكذا كنت أقضي وقتي مع السيدة "بليز" وصاحبها الكولونيل "ريس" . وبعد أن غادرنا "ماديرا" زابل "جاي باجيت" مقصورته وأقبل يلح عليّ أن نشرع في العمل وأن أوصل إملاءه مذكراتي فقلت له :

– وما الذي يدعوني إلى أن أرهق نفسي بالعمل الآن فلا أستمتع بهذه الرحلة البحرية الطريفة .

وجاءني في اليوم التالي يقول :

– إن المقصورة مختنقة بالحقائب ، وإننا في حاجة إلى مقصورة أوسع .
أخذ يلح في الرجاء ، فلم أر مناصا من أن أقره على رأيه لأتخلص منه ، فقال : إن المقصورة رقم 17 خالية فكلفتته بأن يطلب من الربان أن يحجزها لنا .
وفي الصباح التالي أقبل عليّ متجهم الوجه وروى لي قصة خرجت منها بأنه لم يفز بالمقصورة رقم 17 لان فتاة تدعى الأنسة "بيدنجفيلد" وقسا يدعى الأب "شيستر" زاحماه عليها في تشبث وعناد ، وكان أن ظفرت بها الفتاة .

فقلت :

– لا أهمية للأمر ما دمت قد حصلت على مقصورة أخرى .

فقال :

– ولكنك طلبت مني أن أحجز باسمك المقصورة رقم 17 .

– إن الأمر يستوي عندي ، فكل المقصورات سواء .

فقال :

- ولكن هناك شيئا غامضا يتعلق بالمقصورة رقم 17 .. لقد ظفرت بها الأنسة "بيدنجفيلد" ، ولكنني رأيت الأب "شيستر" خارجا منها هذا الصباح تبدو عليه علامات الاضطراب والحذر كأنما دخل إليها خلسة .

فقلت له غاضبا :

- لا تنس أن "شيستر" رجل دين ، وأن الأنسة "بيدنجفيلد" من أشرف المسافرات وأطهرهن .

ولكي أغيظ "باجيت" استطردت أقول :

- عليك أن تدعو الأنسة "بيدنجفيلد" إلى تناول العشاء غدا على مائدتني ، فإني أحب أن أراقصها في الحفل التنكري الذي سيقام في المساء ، أما أنا فسأتولى بنفسني توجيه الدعوة إلى السيدة "بليير" صاحبة أجمل ساقين في هذه الباخرة .

فقال "باجيت" معترضا :

- ولكنني أعرف أن الكولونيل "ريس" سبقك فدعاها إلى مائدته .

فقلت :

- ما الذي تعرفه عن الكولونيل "ريس" ؟

فأجاب :

- إنهم يقولون : « إنه يعمل في المخابرات ، كما أنه من أشهر الصيادين في العالم » .

فتنهدت في استخفاف وقلت :

- ما أعجب تصرفات حكومتنا يا "باجيت" ! .. يعهدون إلى رجل عادي بوثائق سرية خطيرة في حين أن لهم على المركب نفسه أحد رجال مخابراتهم .

فمال إلى أذني وقال هامسا :

- هناك أشياء غريبة شاذة تجري هنا يا سيد "أوستاس" هانذا قبيل سفري مباشرة أصاب بنزلة كبديّة ، ولكن الحقيقة أن الأمر لم يكن كذلك .

- ماذا تعني يا "باجيت" ؟

- أعني أن أحدهم دس لي سما لأتخلف عن الرحلة .
- هل تحدثت في هذا إلى زميلك "رايبورن" السكرتير الثاني ؟
- نعم ، وهو يقربني على رأيي .
- وبهذه المناسبة أين هو ؟ فإني لم أراه قط .
- إنه يلازم مقصورتها مدعيا أنه مريض ، ولكنني واثق بأن هذا الادعاء خدعة منه حتى يتسنى له أن يسهر على حمايتك ، فقد يحاول بعضهم أن يفتالك .
- فتطلعت إليه في دهشة ، فقال في اقتضاب :
- نعم .. إنك مستهدف لخطر الاغتيال يا سيد "أوستاس" .
- ثم أولاني ظهره وانصرف دون أن يضيف كلمة أخرى .

- 11 -

- كانت سهرة رائعة ممتعة .
لم أجد في مخازن الباخرة حلة تنكرية تلائم جسمي السمين إلا جلد الدب ،
فارتديته على كره مني ، ولكنني ظفرت بالجائزة الأولى عن أجمل الثياب التنكرية
للرجال ، وانتقت الأنسة "بيدنجفيلد" ثوب غجرية مطرزا بالأشرطة ذات الألوان
الزاهية ، أما السيدة "بليير" والكولونيل "ريس" فظلا في ثيابهما العادية ورفضاً أن
يتنكرا .
ورقصت أكثر من مرة مع الأنسة "بيدنجفيلد" والسيدة "بليير" ، ثم جلسنا
نتناول العشاء ، وأغرقت المائدة بالشراب ، وأفرط الكولونيل "ريس" في الشراب ،
وانطلق لسانه ، وأخذ يداعبني قائلاً :
- لم لا تدون مذكراتك يا سيد "أوستاس" ؟ لو أنك فعلت لعرف الناس ما
يجهلون عن مغامراتك .
فقلت :
- لو أنني كتبت مذكراتي لاقتصرت فيها على أن أدون فضائح غيري .

وبعنين ساذجتين قالت الآنسة "بيدنجفيلد" :

- لا في شك أن حياتك مليئة بالمغامرات الطريفة يا كولونيل "ريس" ؟
وانطلق لسانه يروي لها مغامراته في صيد الأسود في "روديسيا" ، وكان أسلوبه
في سرد قصصه شائقا فتن الحاضرين جميعا ، وخاصة النساء .

وتساءلت السيدة "بليير" :

- ولكن أليس في "روديسيا" سوى الأسود ؟

فأسرعت أجيب :

- بل فيها ألبان ... شركة "دي بروس" الشهيرة .

وهتفت السيدة "بليير" والآنسة "بيدنجفيلد" في صوت واحد :

- ألبان ! .. آه .. ما أجمل الألبان ! ..

ثم بدأت الأسئلة تدور حول الألبان .. ولكن الأسئلة لم تكن توجه إليّ ، وإنما
كانت تنهال على الكولونيل "ريس" إذ أصبح دوني بهجة السهرة ومحورها .

- إنك بالتأكيد زرت "كمبرلي" يا كولونيل ؟ إنك بالتأكيد رأيت مناجم
الألبان ؟ هل حقيقة أنهم يحبسون العمال الإفريقيين ولا يسمحون لهم بزيارة
أسرهم خشية أن يخبئوا شيئا من الألبان عند أهلهم ؟

أجاب الكولونيل "ريس" عن الأسئلة في استفاضة تدل على إحاطته بالموضوع ،
فقد كنت أنا أيضا خبيرا بمثل هذه المسائل إذ سبق لي أن زرت "كمبرلي" ورأيت
مناجم الألبان أكثر من مرة ، وعرفت الاحتياطات التي يتخذها "دي بروس" ليتوقى
السراقات .

وقالت السيدة "بليير" :

- إذن فمن المستحيل أن تتاح لأحد الفرصة لسرقة شيء من الألبان ؟

فأجابها :

- لا شيء مستحيل في الدنيا يا سيدة "بليير" فالسراقات تقع من حين لآخر ،
كحادث الخفير الذي أحدث في ساقه جرحا خبا فيه فصا من الألبان .

– والسراقات الكبيرة ؟ ألا تقع أبدا ؟

– لقد وقعت سرقة كبيرة في السنوات الأخيرة .. ولا شك في أنك تذكر هذا الحادث يا سيد "أوستاس" فإنك كنت موجودا في "جنوب إفريقيا" عند وقوعه .

وأومات برأسي إيجابا ، فقالت السيدة "بليير" في شغف :

– أرجوك أن تروي لنا القصة .. أرجوك ..

وابتسم "ريس" وشرع يحكي تفاصيل هذه السرقة :

– حدث قبيل الحرب أن تناثرت شائعات قوية عن وجود ألماس في أدغال "غينيا البريطانية" ، وأن المنقبين لم يكتشفوا موقع المنجم بعد . وجاء إلى "كمبرلي" شابان مغامران هما "جون إيرديسلي" وصديقه "لوكاس" وادعيا أنهما وفقا إلى اكتشاف طبقات ألماس في "غينيا" ، وأحضرا معهما مجموعة من قطع الألماس الخام بعضها ذو حجم كبير ، وطلبا فحصها وتقدير قيمتها ونوعها .

وفي الوقت نفسه وقعت سرقة كبيرة في شركة "دي بيرس" رغم الاحتياطات الدقيقة !

فعند تصدير الألماس إلى "إنجلترا" يوضع في لفافة مختومة تودع في خزانة كبيرة لها مفتاحان يحتفظ بأحدهما واحد من كبار الموظفين ويحتفظ زميل له بالمفتاح الثاني ، أما الشفرة الخاصة بفتح الخزانة فيعرفها موظف ثالث . وهكذا لا تفتح الخزانة إلا في حضور الثلاثة ، ثم تسلم اللفافة إلى البنك لتصديرها إلى "إنجلترا" .

واستطرد الكولونيل "ريس" يتم روايته :

– وحدث إذ ذاك أن ارتاب البنك في سلامة أختام اللفافة التي سلمت إليه ، ورُئي فضها ، فإذا هي خالية من الألماس ، وبدلا منه كانت هناك حفنة من السكر ولست أدري كيف أشار إصبع الاتهام إلى "جون إيرديسلي" ، ولكن يبدو أن السبب في هذا هو أن سجله في "إنجلترا" كان شائنا مخزيا وأنتم تعرفون بالتأكيد

أن "جون" ابن السيد "لورنس إيرديسلي" المليونير المعروف وصاحب مناجم الذهب، ولذلك كان أبوه يخف دائما إلى نجدته ودفع ديونه وإنقاذه من الورطات التي يتردى فيها .

وتابع "ريس" الحديث قائلا :

- وقبض على "جون إيرديسلي" وتبين أن حكاية منجم ألماس في "أمريكا الجنوبية" قصة ملفقة ، كما وجد في حوزة "جون" بعض قطع من ألماس "دي بيرس" ولكن القضية حفظت ولم تقدم إلى المحاكم إذ تنازل "دي بيرس" عن شكواه بعد أن نقده السيد "لورنس" نحو ربع مليون جنيه قيمة الألماس الذي سرقه ابنه . وكان هذا الحادث صدمة للأب المسكين هدمت صحته . وحدث بعد ذلك أن تطوع "جون" في الحرب ، ومات كالأبطال فمحا العار الذي دنس اسمه ، ومنذ شهر مات الأب السيد "لورنس" وترك ثروته الضخمة لأقرب وريث له .. وريث لا يعرفه ولم يقابله في حياته .

وسكت الكولونيل "ريس" هنيهة ، ويبدو أن شيئا استرعى بصر الأنسة "بيدنجفيلد" ، فقد أدارت رأسها ناحية الباب ، وندت عن صدرها شهقة خفيفة استدرت بدوري وتطلعت إلى حيث كانت تنظر .

وهناك في فجوة الباب رأيت سكرتيري الثاني "رايبورن" واقفا يرهف السمع إلى حديث الكولونيل "ريس" وتبدو في وجهه سمات الانفعال الشديد فلما رآنا نتطلع إليه استدار وانصرف .

وسالتني الأنسة "بيدنجفيلد" :

- أتعرف هذا الرجل ؟

فأجبت :

- إنه "رايبورن" سكرتيري ، وكان مصابا بدوار البحر فلم يبرح مقصورته إلا

اليوم .

- ومتى التحق بالعمل عندك ؟

- منذ وقت قصير .. قبيل قيامي بهذه الرحلة .
ثم تحولت إلى الكولونيل "ريس" أسأله :
- وهل تعرف هذا الوريث الذي آلت إليه ثروة السيد "إيرديسلي" الطائلة ؟
فأجاب في هدوء :
- بالتأكيد أعرفه .. فأنا هو ذلك الوريث !

- 12 -

(أن بيدنجفيلد" تتابع سرد قصتها)

حتى هذه اللحظة كنت أحاول وحدي أن أحل اللغز ولكنني قررت أن أتخذ لي
عونا أفضي إليه بالأمر وأبدله الرأي وكان الكولونيل "ريس" أول من خطر بذهني ،
ولكنني انصرفت عنه ، فهو ذو شخصية قوية مسيطرة ، ولو أنني كاشفته لانتزع
الأمر من يدي وتولاه بنفسه .

وانبثق اسم السيدة "بليير" في ذهني ، فهي امرأة ذكية لطيفة المعشر ، وهي لا
تفتأ توليني مودة وعطفا .

ولم أتردد لحظة واحدة .. ضغطت الجرس كي أستدعي الوصيفة الليلية لاستفسر
منها عن رقم المقصورة التي تنزل فيها السيدة "بليير" . وبعد فترة قرع الباب وجاء
وصيف يلبي ندائي معتذرا عن تأخيره قائلا بأنه وحده القائم بالعمل والمكلف
بالإشراف على جميع المقصورات .

وسألته عرضا :

- ولكن أين الوصيفة الليلية ؟

فأجاب :

- إن الوصيقات جميعا يفرغن من العمل في تمام العاشرة مساء .

فقلت له في استغراب :

- ولكن كيف هذا وفي الليلة الماضية جاءت الوصيفة إلى غرفتي في الواحدة بعد

منتصف الليل ؟

فهز رأسه في دهشة وقال :

- هذا عجيب .. إن الوصيفات لا يعملن أبدا بعد العاشرة .

ثم انصرف بعد أن ذكر لي أن مقصورة السيدة " بلير " هي رقم 71 ، وتركني في حيرة أسائل نفسي عن سر هذه الوصيفة الليلية .. أكانت مدعية انتحلت هذه الصفة لتقتحم غرفتي في جوف الليل بحثا عن الرجل الجريح ؟ أم لعلها كانت رجلا متنكرا في زي امرأة ؟

ومضيت إلى مقصورة السيدة " بلير " فاستقبلتني في دهشة بقولها :

- ما الذي جاء بك في مثل هذه الساعة ؟

فأجبت :

- لقد جئت أروي لك قصة حياتي . هذا إذا لم يضجرك أن تستمعني إلي .

واستويت على الأريكة ومضيت أنفض إليها ما في صدري . فلما فرغت تأملتني برهة ثم قالت :

- يا لك من فتاة عجيبة ! تقتحمين الدنيا وتطوفين بالبلاد ولا مال لديك ؟ ما

عساك تفعلين إن وجدت نفسك يوما خاوية الوفاض ؟

فأجابت ضاحكة :

- أبحث عن أي عمل مؤقت ثم أوصل مغامراتي .. وبعد أن ربحت بالأمس

جائزة الرقص أصبحت لدي ثروة طائلة .. إن معي الآن أربعين جنيها .

فقالت السيدة " بلير " ساخرة :

- صدقت ! إنها في الحق لثروة طائلة .

- إنني أحب المغامرة يا سيدة " بلير " .

- أرجوك .. يكفي أن تنادينني منذ الآن باسمي الأول . " سوزان " .. والآن

فلنتدارس معا ما سمعت منك .. قلت لي : إنك تعرفت إلى سكرتير السيد

" أوستاس " على أنه الرجل الجريح الذي اقتحم غرفتك في جوف الليل .. لا أعني

"باجيت" ذا الوجه الشرير ، وإنما أعني الآخر المدعو "رايورن"

فأومات براسي مؤمنة فاستطردت :

- ولا شك أيضا في أن الوصيفة الليلية كانت وصيفة مزيفة .. فهل لك أن

تصفيها لي ؟

فأجبت :

- الحق أنني لم أفطن إليها تماما ، ولكن وجهها بدا مألوفاً لي ..

- ألا يمكن أن تكون رجلاً متنكراً على هيئة امرأة ؟

- هذا محتمل فقد كانت طويلة القامة جداً .

- هذا لا ينطبق على السيد "أوستاس" ولا على سكرتيره "باجيت" .

وتناولت ورقة وجرت عليها بالقلم ترسم وجهها ثم بسطته إلي قائلة :

- تأملي هذه الصورة .. أليست هذه هي الوصيفة الليلية ؟

فهتفت في دهشة :

- تماماً .. تماماً .. لقد كان لها وجه القس المحترم "شيستر" ! ما أذكاك يا

"سوزان" ! .. نعم هذه الوصيفة هي القس "شيستر" متنكراً .

فقلت :

- لقد كنت دائماً أشك في هذا المخلوق "شيستر" ، فمن عينيه يطل شيطان

مريد . أتذكرين كيف اضطرب وأفلتت أصابعه قذح القهوة عندما أشرنا في حديثنا

بالأمس إلى المجرم الخطر "كريين" ؟

فقلت :

- كما حاول في عناد أن يظفر بالمقصورة 17 .

فقلت :

- تماماً ، فما سر المقصورة 17 ؟ إنني أعتقد أن هذه المقصورة كانت مكاناً

مضروباً للقاء سري ، فلما ذهب "رايورن" إلى الموعد المضروب طعنه "شيستر" ،

وكان متنكراً في زي الوصيقات حتى لا يثير شكوك السكرتير إذا التقى به . ولكن

مع من كان الموعد ؟ ربما كان مع "شيستر" نفسه ، أو مع "باجيت" مثلا .
فقلت معترضة :

- لا أظن ، فهما كسكرتيرين للسيد "أوستاس" يستطيعان أن يتقابلا بغير حرج عشرات المرات بدون حاجة إلى موعد سري في جوف الليل .
- وران علينا الصمت برهة ، وفجأة قالت السيدة "بليير" :
- ألا يجوز أن يكون هناك شيء ما مخبأ في المقصورة ؟
- هذا محتمل جدا ، فقد نبش شخص مجهول متاعى بالأمس .
- ألا يحتمل أنه كان يسعى وراء رقعة الورق التي سقطت من الطبيب المزعوم ؟
- ربما .. ولكن الأمر يبدو سخيفا ، فهي لا تتضمن إلا تاريخ يوم معين ، وقد مضى هذا اليوم .

- أيمكنك أن تطلعيني على هذه القصاصة ؟

كانت الرقعة في جيبى فقدمتها إليها ، فمضت تتأملها في اهتمام وقالت :

- ما معنى وجود هذه النقطة بعد الرقم 17 ؟

وفجأة نهضت ودنت من المصباح وعرضت الورقة لضوئه ثم قالت :

- "آن" .. ليست هذه نقطة وإنما هي عيب أو خدش في نسيج الورقة .

وكانت على حق في هذا ، فقلت :

- إذن يجب أن نقرأ هذه الأرقام على صورة أخرى ، أي 17 بعدها مسافة ، ثم

22 ومسافة ، ثم رقم 1 .

وقالت "سوزان" :

- ألا تدركين المعنى الآن ؟ الرقم 1 يدل على الوقت ، أي الواحدة بعد منتصف

الليل أي الآن تقريبا ، ورقم 17 هو رقم المقصورة ، أما التاريخ فهو يوم 22 .

وقلت لها :

- ألا يجوز أن يكون هناك خطأ مطبعي في رقم المقصورة ؟ لم لا يكون الرقم

المقصود هو 71 وليس 17 ؟

وهتفت "سوزان" :

– المقصورة 71 ؟ يا إلهي ! إنها مقصورتى .. إنها هذه المقصورة !
فسألتها :

– ولكن هل المقصورة 71 يا "سوزان" هي المقصورة الأصلية التي استأجرتها عند
بداية الرحلة ؟

– لا ، فقد استبدلت بها هذه المقصورة .

– إذن لمن كانت محجوزة أصلاً ؟

– لقد أخبرني مراقب الباخرة أنها كانت محجوزة لامرأة تدعى السيدة "جرابي"
وهو اسم تنكري مستعار للراقصة الروسية الشهيرة السيدة "نادينا" التي أحرزت
نجاحاً منقطع النظير في "باريس" في أثناء الحرب ، وإن لم تظهر قط على مسارح
"لندن" . وقد حدثني الكولونيل "ريس" عنها فقال . إنها كانت عضواً في منظمة
إجرامية سرية تقوم بأعمال الجاسوسية والسراقات والاختلاس والتزوير ، ويرأسها
رجل غامض يقال إنه إنجليزي الجنسية ، معروف باسم "الكولونيل" ، وقد عجزت
الشرطة عن اكتشاف شخصيته الحقيقية .

واسترسلت السيدة "بليز" :

– نعم .. إن "نادينا" هي بطلتنا، إنها المرأة التي يمكن أن تندمج في مثل هذه
الالغاز .. لا بد أنها كانت على موعد يوم 22 في هذه المقصورة أي المقصورة رقم
71 ، ولكن لماذا تخلفت عن ركوب الباخرة بعد أن حجزت لنفسها مكاناً ؟

فأجبت :

– ربما ماتت .. إنني أعتقد أن "نادينا" هي المرأة التي قتلت في "فيللا
الطاحونة" في "مارلو" .

وعند هذا تذكرت لفاقة الأفلام التي عثرت عليها في الفيللا في قاع الدولاب
الذي تحت النافذة . وفي اللحظة نفسها تذكرت أيضاً لفاقة الأفلام التي أقيمت من
أنبوبة تكييف الهواء على صدر السيدة "بليز" وهي راقدة في فراشها في جوف

الليل . وهتفت بها :

- أتذكرين لفافة الأفلام ؟ إنك تعتقدين أنها اللفافة التي طارت من يدك عندما
اختل توازن الباخرة . ولكن ما يدريك أنها لفافة أخرى مختلفة .
وأسرعت السيدة "بليير" إلى حقيبتها وجاءت باللفافة .
وما إن فضضناها حتى تساقطت منها حفنة من الألباس .

- 13 -

حملت إلى كومة الألباس في ذهول وغمغمت :

- "سوزان" .. هل أنت واثقة بأن هذه القطع الزجاجية هي ألباس حقيقي ؟
فأجابت :

- إنني خبيرة بالألباس يا عزيزتي .. ولكن لا بد أن لهذه الألباسات قصة وتاريخا
فقلت :

- لعلها القصة التي سمعناها من الكولونيل "ريس" ، فلست أشك أنه سردها
علينا لهدف معين .

- أتعنين أنه أراد أن يرى أثر قصته على السيد "أوستاس بيدلر" ؟
- هذا هو ما خطر لي .

ثم استطردت :

- ولكن من يكون الكولونيل "ريس" ؟
فقالت "سوزان" :

- المعروف عنه أنه من كبار صيادي الوحوش ، وهو كما ذكرنا يمت بصلة القرابة
إلى السيد "لورنس إيرديسلي" ، وقد أصبح وريثه الوحيد كما سمعنا منه ويقال
إنه يعمل في المخابرات .

ثم أردفت :

- إن زوجي "كلارنس" يعمل في وزارة الخارجية فيمكنني أن أبرق إليه أستفسر

منه عن الكولونيل "ريس" .

وقلت :

- إنني أعتقد أنه تعمد أن يروي لنا قصة الالماس الذي سرق من شركة "دي بيرس" ، فلماذا فعل ذلك ؟ أليس من الجائز أن هذه الالماسات جزء من الالماس المسروق ؟

وران علينا الصمت برهة ، ثم عدت أقول :

- لقد ذكر لنا الكولونيل "ريس" أن "جون إيرديسلي" - أحد اللصين - مات في الحرب ، فبودي أن أعرف مصير اللص الثاني ، أعنى شريكه "لو كاس" .
فقلت "سوزان" :

- أما أنا فالذي يهمني هو هذه الالماسات ، فهي محور الحركة والجميع يلهثون وراءها . ولا يداخلني شك في أن الرجل ذا السترة الرمادية إنما قتل "نادينا" ليستولي على الالماسات .

فقلت في انفعال :

- كلا .. إنه لم يقتلها .

- إذن فمن الذي قتلها ؟

- لا أدري ، ولكن ذا السترة الرمادية بريء .

- ولكنه كما ذكرت لي دخل البيت بعدها بدقائق ، وحين خرج كان يادي الارتباك والاضطراب .

فقلت :

- لأنه وجدها مقتولة بالفعل .

- إذن لا شك في أن القاتل كان لا يزال موجودا في البيت إلا إذا كان قد غادره من باب خلفي .

وتساءلت "سوزان" :

- ولكن من يكون الرجل ذو السترة الرمادية ؟ ربما كان هو الطبيب المزيف الذي

فحص جثة الرجل الذي صعقه التيار الكهربائي في النفق ، ولا شك في أنه استطاع أن يغير تنكره وتبع الحسنة الأجنبية إلى "فيللا الطاحونة" حيث كانت على موعد مع "كارتون" قتيل النفق .

ويبدو أن "كارتون" يخاف هذا الرجل خوفا شديدا ، فما إن رآه على رصيف المحطة حتى استبد به الفزع فاختل توازنه وسقط فوق القضبان المكهربة . وعند ذاك ادعى كذبا أنه طبيب وتظاهر بفحصه واغتنم الفرصة وسرق من جيبه قصاصة الورق ، وفي غمرة إسراعه إلى الفرار وقعت منه القصاصة ، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك ؟

واستطردت "سوزان" محاولة أن تستنتج تسلسل الوقائع :

- أعتقد أنه اتصل بعد ذلك بالسيد "أوستاس بيدلر" وأقنعه بأن يتخذه سكرتيرا له ، وبذلك يتسنى له الفرار ومغادرة "إنجلترا" بطريقة آمنة . ولكن كيف استطاع أن يقنع السيد "أوستاس" ؟ ترى هل يعرف من أسراره ما يخضعه به لسلطانه ؟
فقلت :

- وما يدرينا أن "باجيت" هو الواقع تحت سيطرته وليس السيد "أوستاس" ؟
قالت "سوزان" :

- واستطردا في استنتاجاتي يمكن أن أقول : إن السكرتير "رايبورن" هو الرجل ذو السترة الرمادية . وقبل أن تقع منه القصاصة استطاع أن يلقي إليها نظرة خاطفة ، وانخدع في معناها كما انخدعت أنت من قبل ، وظن أن المقصورة رقم 17 هي المقصورة المدونة على رقعة الورق ، فعهد إلى "باجيت" بأن يحجزها لنفسه ، وفي الليلة المعهودة أي في ليلة 22 مضى إلى المقصورة في جوف الليل ، وفي الطريق إليها اعترضه شخص مجهول وطعنه في كتفه .

فقلت أتساءل :

- ومن يكون هذا الشخص المجهول ؟

فردت "سوزان" :

– القس "شيستر" بالتأكيد .. إن الأمر واضح .. هيا يا "آن" .. أبرقي إلي اللورد "ناسبي" صاحب صحيفة الـ"ديلي بادجيت" وأخطريه أنك عثرت على ذي السترة الرمادية .

فاعترضت بقولي :

– ولكنك غفلت عن بعض الأشياء .

– كيف هذا .. ؟ إن أوصاف ذي السترة الرمادية تنطبق على "رايبورن" ... الطول نفسه والقامة نفسها ... وبهذه المناسبة ، إنك وصفت رأس الطبيب لـ"اسكتلنديارد" ، فما الذي قلته لهم .. ؟

– قلت لهم إن رأسه مستطيل .

وكنت في هذا كاذبة ، فقد ذكرت لهم أن رأسه منبجج ويبدو أن ذاكرة "سوزان" قوية إذ اعترضت بقولها :

– إني أذكر أنك وصفت لي رأسه بأنه منبجج .. ؟

وأصررت على الأكذوبة :

– بل قلت إنه مستطيل .

فتأملتني "سوزان" برهة ثم قالت :

– إنك لا تحسنين الكذب يا نوريتي الحسنة ، فهل لك أن تفضي إلي بالحقيقة .. ؟

ولذت بالصمت برهة ، ثم قلت :

– لم أكد أرى "رايبورن" يقتحم مقصورتي في جوف الليل ولم أكد أفرغ من تضميد جرحه حتى شعرت أنني أحبه . نعم إني هائمة به يا "سوزان" .

– ولهذا تكذبين في وصف ذي السترة الرمادية حتى تداري الشبهات عن "رايبورن" .. ؟

– نعم .. إنني مفتونة به . وفي سبيله لن أتردد في الإقدام على أي شيء ..

– ولكن هذا الرجل قاتل يا "آن" فكيف تحببته .. ؟

- بل إنه بريء .. وحتى إذا كان قاتلا فما حيلتي ؟! إن زمام قلبي ليس في يدي .

- 14 -

في صباح اليوم التالي التقيت بالكولونيل "ريس" يتمشى على سطح المركب، فتبادلنا التحية . وقلت له :

- كانت طريفة جدا تلك القصة التي رويتها لنا بالأمس .. قصة الألبان المسروق . وبهذه المناسبة ما الذي حدث للشريك الثاني ..؟ إنك قلت إن "جون إيرديسلي" مات في ميدان القتال ، فكيف كان مصير "لوكاس" ..؟
- لقد تطوع في الحرب ، وذكر اسمه بين المفقودين .

- إذن فمصير "لوكاس" مازال مجهولا ، ولعله لا يزال على قيد الحياة .
وتحينت فرصة اختليت فيها بالوصيف الليلي وأجزلت له العطاء فقال لي : إنه في أثناء رحلة الباخرة من "كيب تاون" إلى "إنجلترا" أعطاه أحد المسافرين فيلما وطلب إليه أن يلقيه إلى داخل المقصورة رقم 17 من خلال أنبوبة التكييف ، على أن يكون ذلك في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة 22 كانون الثاني (يناير)، وقال له هذا المسافر الغامض : إن إحدى السيدات هي التي ستكون شاغلة المقصورة في تلك الليلة وأن الفكرة في هذه العملية هي مجرد رهان ومداعبة . وذكر لي الوصيف أن المسافر الذي عهد إليه بهذه المهمة كان يدعى السيد "كارتون" ، وأنه لم ينبعث باسم السيدة شاغلة المقصورة .
وعندما وصف لي "كارتون" أدركت على الفور أنه الرجل الذي صعقته القضبان المكهربة .



مرت الأيام الباقية على نهاية الرحلة في هدوء .
وذات مساء كنا جلوسا على سطح المركب نتبادل الحديث ، وأشار السيد

"أوستاس بيدلر" إلى فوضى مواعيد القطارات في "إيطاليا"، وعندئذ حدث الشيء المعهود نفسه، اضطرب سكرتيره "باجيت" اضطرابا شديدا كما هو شأنه دائما كلما أشار أحد إلى "إيطاليا" و"فلورنسا". وحين نهض السيد "أوستاس" ليراقص السيدة "بليز" اغتنمت الفرصة وقلت لـ "باجيت":

- لكم أتوق إلى زيارة "إيطاليا" فإنها في الحق بلاد جميلة.. ترى هل استمتعت بعطلتك التي قضيتها في "فلورنسا" يا سيد "باجيت"؟
فاجاب:

- بالتأكيد يا آنسة "بيدنجفيلد" .. والآن هل تسمحين لي بالانسحاب لأحرر بعض الرسائل؟

فتشبث بذراعه وأجلسته وأنا أقول:

- إنك لا تستطيع أن تهرب مني ..! إن ضميرك يؤنبك بشأن رحلة "فلورنسا"، فما الذي فعلته في هذه المدينة؟

هل وقعت في مشكلة حب ..؟ هيا حدثني .

فجلس مستسلما على كره منه وهو يقول:

- ما الذي تريد من معرفته ..؟

- هل أعجبتك "فلورنسا" ..؟ هل شاهدت تماثال "العذراء" ولوحات "رافائيل" ..؟

- إنها رائعة .. تحفة فنية لا مثيل لها .

- وهل تناولت السمك في المطاعم المشيدة على ضفاف نهر "أرنو" ..؟ إنهم

يخرجونه من النهر حيا أمام عينيك ويشوونه لك ..

- بالتأكيد .. لقد تعشيت هناك أكثر من مرة .

- وهل تنزهت في نهر "دومو" في تلك القوارب الملونة الجميلة ..؟

- مرتين على الأقل .

وهكذا انزلق "باجيت" في سهولة إلى الفخ الذي نصبته له، فتلك المعالم التي

أشرت إليها غير موجودة في "فلورنسا" ، ولكنه أكد ردا على أسئلتني أنه زارها ورآها، وهذا دليل على أنه لم يذهب قط إلى "فلورنسا" . فاين كان إذن خلال عطلته؟ أين كان في الفترة التي جرى فيها هذا اللغز ..؟
بالتأكيد كان في "إنجلترا" .

وأقدمت على خطوة جريئة .. قلت له :

- إنه ليخيل إليّ أنني رأيتك من قبل ، ولكن لا بد وأنني مخطئة بما أنك كنت في "فلورنسا" في ذلك الوقت .

ورماني بنظرة مضطربة وقال :

- ولكن أين تعتقدين أنك رأيتني ..؟

- في "مارلو" .. إنك تعرف "مارلو" بالتأكيد . إن السيد "أوستاس" يملك هناك بيتا .. "فيللا الطاحونة" .

وانبعث "باجيت" واقفا ، وبادر إلى الانصراف .

وفي تلك الليلة مضيت إلى مقصورة السيدة "بليمر" ، وأفضيت إليها بما كان بيني وبين "باجيت" ، وسألتها :

- هل كان "باجيت" في "إنجلترا" في أثناء وقوع الجريمة ؟

- نعم .. كان "باجيت" في "إنجلترا" في أثناء مقتل الأجنبية .

- إنني مقتنعة بشيء واحد ، هو أن القاتل رجل وسيم ليست له سحنة "باجيت" البشعة الدميمة . ثم استطردت :

- الآن عرفنا حقيقة لا شك فيها .. "باجيت" كان في "إنجلترا" في أثناء وقوع الجريمة .

- تماما . فعلينا أن نراقب حركاته وسكناته .

- هو وغيره بالتأكيد ممن نشبه فيهم .. وبهذه المناسبة .. إنك لا تملكين من المال إلا النزر اليسير ، وفي أثناء مراقبتك للمشتبه فيهم ستضطرين إلى النزول في أفخم الفنادق . إننا شركاء في هذا اللغز ، فانفقي ما تشائين ولا تترددي ، فإني

أضع مالي رهن إشارتك .. ألسنا شركاء ؟

وبان التردد في وجهي فاستطردت "سوزان" :

- سنبداً أولاً بان تنزلي معي في فندق "نيلسون" على حسابي حتى نلتقي بسهولة وناقش خططنا .

واضطرت إلى الإذعان فمضت تقول :

- السيد "أوستاس" سينزل في فندق "نيلسون" في "كيب تاون" ثم يذهب بعد ذلك إلى "روديسيا" ، أما القس "ثيستر" فسيذهب إلى "دوربان" ، وقد عرض عليّ السيد "أوستاس" أن أصحبه في سيارته الخاصة .

فقلت :

- حسناً .. عليك أنت أن تراقبي السيد "أوستاس" و"باجيت" ، أما أنا فسأتولى مراقبة الأب "ثيستر" . ولكن من الذي سيراقب الكولونيل "ريس" .. ؟
- حسناً .. إن "ريس" مسافر إلى "روديسيا" أيضاً ؛ لذلك سأقنع السيد "أوستاس" بأن يدعوه إلى ركوب سيارته ، وبذلك يتسنى لي مراقبة المشبوهين الثلاثة .

وانصرفت إلى مقصورتني ، ولكن الأرق استبد بي فصعدت أتمشى على سطح الباخرة ، ثم وقفت عند السياج أتأمل الليل الساجي وهدوء البحر .
ولكن فجأة جاءني نذير خفي بخطر يقترب .

واستدرت سريعاً ، ولحمت شبحاً ينقض علي ، ويطبق بيده على عنقي ، فاطلقت صرخة مدوية ، بدأت أناضله على غير جدوى ، وهو يدفعني إلى ناحية السياج ليقذف بي من فوقه إلى أفواه الحيتان .

وبدأت أضعف وأتخاذل ، وفجأة سمعت وقع أقدام خفيفة سريعة ، ورأيت شبحاً آخر مقبلاً إلينا .

وسدد القادم إلى الشبح - الذي كان يحاول أن يخنقني - لكمة عنيفة طرحته أرضاً ، ثم تلقاني بين ذراعيه وهو يقول في صوت يفيض قلقاً وانزعاجاً :

- هل أنت بخير ..؟ هل أصابك بسوء ..؟

وتطلعت إليه ، وعرفته على الفور .. إنه "رجلي" الرجل الذي أحببته –
"رايبورن" سكرتير السيد "أوستاس" . وفي اللحظة التي كان "رايبورن" يطمئن
فيها علي كان عدوي الخفي قد نهض واقفا وانطلق هاربا . ولم يتردد "رايبورن"
لحظة واحدة وإنما طار بعقبه يطارده ورجع إلي "رايبورن" بعد لحظات وهو يقول :
– لقد وجدته مكوما أمام باب مقصورته ، يبدو أنه أغمي عليه من أثر لكمتي .
– ولكن من هو ..؟ هل عرفته ..؟

– سنرى الآن .. هيا بنا .

وأخذ بذراعي إلي حيث كان الرجل مكوما على الأرض ، وأشعل عودا من
الثقلب ، وشهق دهشة وذهولا .
كان الرجل هو "جاي باجيت" سكرتير السيد "أوستاس" .

والنفت إلي "رايبورن" قائلا :

– إنك لم تدهشي حين عرفت أن مهاجمك هو "باجيت" فهل تبينت وجهه
حين انقض عليك ..؟

– لا ، فقد كان الظلام دامسا ، ولكنني كنت أتوقع الأمر من قبل .
فتطلع إلي في استغراب وقال :

– هذا عجيب .. ترى ما مدى ما تعرفين ..؟

فاجبت :

– إنني أعرف أشياء كثيرة يا سيد "رايبورن" أم لعله ينبغي أن أقول يا سيد
"لوكاس" .

فأمسك بذراعي بعنف ألمني وقال :

– من أين جئت بهذا الاسم ..؟

فقلت :

– أليس هذا هو اسمك ..؟ أم لعلك تفضل أن أناديك بـ"الرجل ذي السترة
الرمادية" ..؟

كانت المفاجأة شديدة الوقع عليه .. خلى عن ذراعي ، وارتد إلى الخلف خطوة
أو خطوتين ، ثم قال :

- من عسك تكونين ..؟ أنت فتاة من البشر أم ساحرة من الجن ..؟
فقلت :

- بل أنا صديقة مخلصة ، أنقذتك من الموت يوما ، ومازلت على استعداد لأن
أنقذك .

فاكفهر وجهه وأجاب في خشونة و صلف :

- لا أريد مساعدة من أحد .. لا أريد أن تكون بيني وبين أية امرأة في هذه
الدنيا رابطة من أي نوع كان .

واستثارت كلماته غضبي فقلت أتوعده :

- ألا تعلم أنك في قبضة يدي ، وإنني بكلمة واحدة أتفوه بها ألقى بك في
غياهب السجون .

فضحك في مرارة وقال :

- بل أنت التي في قبضة يدي . إنني أستطيع أن أقتلك الآن .

- إنني أعلم أنك لا تريد أن تتورط في جريمة قتل أخرى .

- جريمة قتل أخرى ..؟ ماذا تعنين ..؟

وبدت الدهشة في سمات وجهه فقلت مستطردة :

- أنسيت قتيلة "فيللا الطاحونة" ..؟

فارتسمت على وجهه أمارات وحشية وغمغم :

- هذه المرأة ..؟ لكم تمنيت حقا أن أقتلها ..!

وفاضت بمعالم وجهه سمات صارخة من الحقد والكراهية .

ثم تماسك واسترد هدوءه وقال :

- طاب مساؤك يا آنسة "بييدنجفيلد" ، وداعا .

فقلت :

- بل إلى اللقاء يا سيد "لوكاس" .

فأجاب في خشونة :

- وداعا ، فإننا لن نلتقي أبدا .

- بل سوف نلتقي ... لقد ربط القدر مصيري بمصيرك .

وأولاني ظهره ، وابتعد عني يدق الأرض ساخطا في خطوات حائقة .

- 15 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

دخل علي سكرتيري " باجيت " بعين متورمة وبدأ يروي قصته لي أنه لمح رجلا

يتصرف بطريقة تثير الريبة .

وقال :

- كان الرجل يمشي في حذر وتلصص ، وكان ذلك في منتصف الليل .

فقلت :

- وما الذي أخرجك أنت من فراشك في مثل هذه الساعة ..؟

- كنت منهمكا في تحرير بعض الرسائل الخاصة بك .

وقبل أن آوي إلى فراشي رأيت أن ألقى بنظرة لأطمئن على سلامتك .

واستطرد :

رأيت الرجل قادما من ناحية مقصورتك ، فاستربت فيه بسبب مشيته الخذرة

المتلصصة ، ثم انحرف إلى باب قاعة الجلوس ونفذ منه ، فلم أتردد في اقتفاء

أثره . وقد تبينت وجهه على الضوء الخافت .. إنه "رايبورن" ما في ذلك

شك .

فقلت في دهشة :

- "رايبورن" ..؟

فقال :

- إني متأكد من هذا ، ولا شك في أنه كان على موعد سري مع الكولونيل "ريس" .

- موعد في منتصف الليل .. ؟

- ولكنه موعد سري .. ليتلقى الأوامر .. نعم يا سيد "أوستاس" هناك شيء غامض يجري في الخفاء وإلا فلماذا هاجمني "رايبورن" .. ؟

- وهل أنت متأكد أنه "رايبورن" .. ؟

- إني واثق بهذا ، والدليل على ذلك أن "رايبورن" اختفى فور نزولنا إلى البر .

وكان على حق في هذا ، فإننا لم نر وجه الرجل مذ هبطنا إلى البر .

وهكذا أثارتنني قصة "باجيت" وملأتنني غضبا ، فهذا هو سكرتيري "باجيت" متورم العينين ، في حين أن سكرتيري الثاني "رايبورن" قد اختفى وتوارى كأنما انشقت الأرض وابتلعتة .

وحدث بعد ذلك شيء خطير .



ذهبت إلى مقابلة رئيس الوزراء لاسلمه اللفافة التي عهد إلي بها "ميلاري" ، التي تضم مجموعة من الوثائق الخطيرة .

كان الختم سليما لم يمس ولكننا حين فضضنا اللفافة وجدناها لا تضم إلا مجموعة من الأوراق البيضاء .

ولعنت نفسي ولعنت "ميلاري" على أن أوكل إلي هذه المهمة السرية اللعينة .

وبدلا من أن يهون على "باجيت" الأمر قال لي :

- ما أدراك يا سيد "أوستاس" أن "رايبورن" محتال مزيف وأن وزارة الخارجية لم توفده إليك ليصحبك كسكرتير إضافي .. ؟ إنه زعم لديك أنه موفد من

قبل "ميلاري" ، ولكنه لم يقدم إليك أي خطاب رسمي يؤيد هذا ، فهل تحققت من أنه لم يكذبك القول .. ؟

واقترح "باجيت" أن نبعث ببرقية إلى "ميلاري" نستفسر فيها عن "رايبورن" . وفي المساء نفسه جاءنا الرد بأن وزارة الخارجية لا تعلم شيئا عن هذا المدعو "رايبورن" وأنها لم توفده إليّ .

وما لبث "باجيت" أن خرج إليّ بأسطورة ثانية .
جاء يهمس في أذني بأن "رايبورن" لا بد أن يكون هو ذلك القاتل الشهير ، "الرجل ذو السترة الرمادية" الذي يطارده رجال الشرطة ويسعون في عقبه .
ولم أحاول في هذه المرة أن أكذبه ، فقد عودني في المرتين السابقتين أن يكون صادقا في تأويلاته وسوء ظنه .
وقلت له :

- أولى بي أن أبادر بالسفر إلى "روديسيا" . ولكنك لا يمكن أن تصحبني بهذه العين السوداء المتورمة ، إذ كيف أقابل أقراني من رجال الأعمال وأقدم إليهم سكرتيرا يبدو وكأنه ملاكم خرج لتوه من الحلقة مهزوما مضروبا ؟
- ولكن ما عساک تفعل برسائلك .. ؟ من الذي سيدونها لك .. ؟
- سادبر الأمر بطريقة ما .. سأعرض على الأنسة "بيدنجفيلد" أن تصحبني وتعمل سكرتيرة لي .

ولشدة دهشتي اعترض "باجيت" بقوة على اقتراحي ، ومضى يلح في الرجاء بالأستخدام "آن بيدنجفيلد" .
ولكي أغيظه تشبثت بها ، وتركته ساخطا متبرما .

("آن بيدنجفيلد" تروي قصتها)

صحوت في ذلك الصباح مبكرة ، وصعدت إلى الجزء الأعلى من سطح الباخرة ،

أتطلع إلى روعة الجبل الشامخ ، تكلله السحب البيضاء كأنها تاج من الزهر الناصع
البياض .

وحدثت مني لفتة إذ لمحت شبح رجل في الركن القصي من المكان غارقا بدوره في
تأملاته وأحلامه .

على أنني ما لبثت أن رأيته يزابل مكانه ويتجه إلى ناحيتي ويلقي إليّ بالتحية .
ولم يكن هذا الرجل سوى "رايبورن" . وقال :
- أريد أن أعتذر إليك عما بدر مني بالأمس .
فأجبت :

- لقد كانت ليلة حافلة .

- هلا غفرت لي خشونتني وسوء أدبي .. ؟

فبسطت إليه يدي أصافحه دون أن أنطق بكلمة .

وتجههم وجهه قليلا ، وقال في نبرات رزينة :

- آنسة "بيدنجفيلد" .. أرجوك أن تستمعي إليّ .. إنك مستهدفة لآخطار لا
يمكن أن تعرفي مداها .. إنك إزاء منظمة إجرامية خطيرة لا يتورعون عن أشد
جرائم القتل وحشية ... إنني خائف عليك .
وسألته :

- ولكن ما الذي يحملك على تحذيري .. ؟

فسكت برهة يتأملني ثم قال :

- إنك أنقذت حياتي ، وهذا أقل شيء أوفي به جميلك . ولكن إذا قدر لي أن
أنزل إلى البر فقد أحاول أن أساعدك .. ؟
فسألته :

- ماذا تعني بقولك إذا قدر لك أن تنزل إلى البر .. ؟

- هناك آخرون يعرفون أنني ذو السترة الرمادية ، فإذا وشوا بي قبض علي فوراً .
وإن كنت أعتقد أن الرجل لن يبلغ عني لأنه يريد أن يستغلني ، ويرياني حراً

طليقا أنفع له مني مقيدا سجيننا .

ثم أردف :

- والآن وداعا فأغلب الظن أننا لن نلتقي مرة أخرى .

- بل سوف نلتقي .

وشد على يدي يصاصفحني ، وأحسست من لمسة أصابعه برجفة شملت بدني .

ومرت الساعتان التاليتان والقلق يكاد يفترسني ، أسائل نفسي عن مصير "رايبورن" .. ترى هل تلقي الباخرة مراسيها فينزل إلى البر في سلام ، أم يشي به ذلك الرجل الذي يعرف سره فيلقى القبض عليه .. ؟

ولم أهدأ بالآ إلا حين رأيت "رايبورن" يغادر السفينة إلى البر دون أن يتعرض له أحد بسوء ، ولحقت بـ "سوزان" وركبنا إحدى سيارات التاكسي ، ومضينا معا إلى فندق "نيلسون" لأقضي الليلة معها طبقا لاتفاقنا .

ونزلنا في الفندق في غرفتين متلاصقتين ، ذهبت إلى "سوزان" في غرفتها ، فبادرت تسألني :

- أرايت "باجيت" اليوم .. ؟ لقد التقيت به مصادفة فرأيت له عينا سوداء متورمة كأنما تلقي لكمة عليها .

فقلت ضاحكة :

- إنها بالفعل أصيبت بلكمة .

ورويت لها ما حدث بيني وبين "باجيت" ، وكيف حاول أن يخنقني ويقذف بي في البحر ولولا أن خف "رايبورن" إلى نجدتي وعاجله بلكمة طرحته أرضا .

فقلت :

- هذا عجيب .. ! إن اللغز يزداد غموضا .. ويبدو أنني أنا أيضا مستهدفة

للخطر .

– لا أظن ، فإنك مازلت بعيدة عن الشبهات .
فقلت "سوزان" :

– وبهذه المناسبة ناوليني هذه الورقة لأبعث ببرقية إلى "كلارينس" .
وخطت هذه الكلمات على الورقة :
"تورطت في لغز مثير .. أرسل إليّ ألف جنيه فوراً" .

وجاء بعض الأصدقاء من أهل المدينة يزورون "سوزان" فانشغلت بهم عني ،
فخرجت أتجول في المدينة لأشاهد معالمها ، وأشغل وقت فراغي . وحين رجعت إلى
الفندق وجدت في انتظاري مفكرة من أمين المتحف يقول فيها إنه عرف من قائمة
ركاب الباخرة المنشورة في الصحف أنني ابنة عالم الأجناس الشهير البروفيسور
"بيدجفيلد" ، وأنه سبق أن التقى بأبي مرة أو مرتين ؛ ولذلك يسعده أن أتناول
الشاي معه ومع زوجته في بيته في "مويزنبرج" بعد ظهر اليوم ووصف لي موقع
القيلا ، فأسرعت إلى المحطة وركبت القطار المسافر إلى "مويزنبرج" ، واهتديت إلى
فيلا "ميدجي" بسهولة ، وكانت في ركن قصي من الشاطئ . وفتح لي الباب
خفير شاب وسالته عن السيدة "رافيني" فأجاب بأنها في انتظاري . ودعاني إلى
الدخول .

وما كدت أتخطى الباب حتى انصفق ورائي في عنف ، وتقدم إليّ رجل ملتح
يحييني في لكنة هولندية وقال :

– إذن فقد وفقنا إلى إغرائك بالحضور يا آنسة "بيدجفيلد" .
وكانت في نبرته لهجة وعيد وتهديد ، وفي عينيه نظرة تتقد شراً .
وعندئذ وضحت لي الحقيقة في جلاء .
لقد وقعت في يد الأعداء .. وذهبت إلى موعد مع الموت .

– لقد دعاني أمين المتحف لكي أتناول الشاي معه ، فإذا كنت قد أخطأت البيت ...

فقاطعني :

– إنك لم تخطئي البيت ، وإنما أخطأت في قبول الدعوة أصلا ... إنك أسيرتي يا آنسة "بيدنجفيلد" .

– وبأي حق تحتجزني ..؟ سوف أبلغ الشرطة ..

فضحك في سخرية وقال :

– هذا إذا قدر لك أن تغادري هذه الفيلا وأنت على قيد الحياة .

فاستويت جالسة على أحد المقاعد وأنا أقول :

– يجب أن أنبهك إلى أن أصدقائي يعرفون وجهتي ، فإذا لم أعد إليهم حتى

المساء جاءوا يبحثون عني ومعهم رجال الشرطة .

فقال يتحدثاني :

– إذن فأصدقاؤك يعرفون مكانك .؟ من منهم يا ترى ، فإن أصدقاءك كثيرون .

وكان لابد أن أقبل التحدي ، فاجبت وأنا أعلم أنني كاذبة :

– السيدة "بلير" .. وهي صديقة لي وأنزل معها في الفندق نفسه .

– إن أكلدوبتك مفضوحة يا آنسة "بيدنجفيلد" فإنك لم تقابلي السيدة "بلير"

منذ الحادية عشرة صباحا لانشغالها مع بعض الأصدقاء ، في حين أنك تسلمت

رسالتي وأنت إلى مائدة الغداء .

وأدركت من رده أن تحركاتي كانت موضع المراقبة . وقلت له :

– ترى ألم تسمع أبدا بذلك الاختراع الذي يسمونه التليفون ..؟ لقد اتصلت

بي السيدة "بلير" تليفونيا وأنا في غرفتي بعد الغداء ، فأخبرتها أنني ذاهبة إلى

فيلا "ميدجي" في "مويزنبرج" لتناول الشاي .

وأفلحت خدعتي فقد بدت أمارات القلق في وجهه الهولندي إذ صدق قولي .

ثم هب واقفا وهو يقول :

- ألا حسبك هذا .

وسألته وأنا أحاول أن أبدو هادئة متماسكة :

- وما الذي تنوي أن تفعل بي ..؟

- سأودعك مكانا لا تملكين فيه أن تسيئي إلينا إذا ما جاء أصدقائك بعقبك .

وسرت البرودة في أوصالي إذ فهمت من كلماته أنه ينوي أن يقتلني .

واستطرد يقول :

- عليك غدا أن تجيبي عن بعض الأسئلة ، وبعدها ننظر فيما سوف نفعل بك

وشاع الاطمئنان في نفسي ، فسوف أظل على قيد الحياة حتى صباح الغد على

الأقل .

وقد فهمت من إرجائه الأمر إلى الغد أنه مجرد مرءوس لا يملك من الموقف شيئا ،

ولكن ترى من يكون هذا الزعيم ..؟

أيكون هو "باجيت" ..؟

واستدعى الهولندي اثنين من الخفراء ، وأمرهما أن يصعدا بي إلى الطابق الأعلى ،

وأمرهما بشد وثاقي وتقييد يدي وقدمي بحبل أحكما شده حتى كاد ينغرز في

لحمي .

وانحنى الهولندي أمامي في سخرية وقال :

- إلى اللقاء غدا يا ضيفتي العزيزة .

وتركني وحدي عاجزة موثقة اليدين والساقين لا أجد وسيلة إلى الخلاص .

وحاولت أن أتخلص من قيودي فانغرز الحبل في لحمي وآلمني إبلاما شديدا ،

وأرهقتني المحاولة وأنهكت قواي ، فما لبثت أن غرقت في النوم .

وحين صحت كان الليل قد هبط وعلى شعاع ضوء القمر الذي يتسرب من

النافذة لمحت شيئا يبرق في ركن الغرفة . وركزت بصري على هذا الشيء ، وتبينت

كنهه على الفور ... إنه قطع من الزجاج المكسور .

لو أنني استطعت أن أصل إلى هذا الركن القصي من الغرفة ، وأن أمسك بقطعة

من الزجاج أحك بها الحبل الذي يدور بمعصمي وساقني .. لو أن هذا حدث
لنجوت .

وبدأت أتدحرج على الأرض ، خطوة بعد خطوة والحبل يلهب جسدي
بالألم .

أخيرا وصلت إلى قطع الزجاج المكسور ، وجاهدت طويلا أن أسند قطعة منها
إلى الجدار ، وأخيرا أفلحت ، وبدأت أحك الحبل الدائر بمعصمي في سنها الحاد ،
ورويدا أخذ نسيج الحبل ينبري ، وأخيرا بشدة واحدة انقطع الحبل وإذا بيدي حرة
طليقة .

وكان الأمر بعد ذلك سهلا هينا ، إذ استطعت دون عناء أن أقطع باقي قيودي
وكان الشيء الذي أتلهف إليه في هذه اللحظة لقمة خبز أتبلغ بها وأسد بها جوعي
إذ لم أكن تناولت شيئا منذ الغداء ولكن أين السبيل إلى ما أرجو ؟

فتحت باب الغرفة في حرص وحذر ، ولم يكن لحسن حظي مغلقا بالمفتاح
من الخارج إذ لم يروا ما يدعوههم إلى ذلك وأنا موثقة بالقيود لا سبيل لي إلى
الهرب .

تسللت إلى الممشى ، ثم بدأت أهبط درجة بعد درجة ، في خطو رقيق حذر ،
وعندما بلغت منعطف السلم لمحت الخفير الصبي جالسا على مقعد بالقرب من
الباب ، فجمدت مكاني خائفة مرتعبة ، ولكنني ما لبثت أن أدركت أنه غارق في
النوم .

وتابعت نزولي في جراءة ، وبلغت باب الغرفة ، وألصقت أذني بمصراعه ، فلم أكد
أتبين إلا أصواتا مختلطة غير واضحة . فملت إلى ثقب الباب أختلس النظر من
خلاله .

كان سجاني الهولندي جالسا في صدر الغرفة ، وكان هناك رجل آخر وقد عرفته
على الفور ، إنه القس "شبيستر" رفيقي في الباخرة "قصر كيلموردن" ..
وجعلت أذني على ثقب الباب ، وبدت الكلمات أكثر وضوحا وجلاء .

تبينت صوت الهولندي وهو يقول :

– لنفترض أن أصدقاءها جاءوا يبحثون عنها ..
وأجابه "شيستر" :

– إنها تحاول أن تخدعكم ، فإنهم لا يعرفون مكانها . ومع ذلك فهذه هي أوامر
"الكولونيل" .

فقال الهولندي مزمجرا :

– ولكن لم لا نقلتها في الحال ونحملها إلى المركب ونقذف بها في اليم ؟
فقال "شيستر" :

– ولكننا لا نستطيع أن نخالف أوامر الكولونيل .. إنه يريد أن ينتزع منها بعض
المعلومات .

وقلت في نفسي وأنا أستمع إلى هذه الكلمات : "معلومات عن الألباس
بالتأكيد" .

فقال "شيستر" :

– والآن ناولني القوائم لأطلع عليها .

وأخيرا سمعت القس "شيستر" يقول :

– حسنا ... سأخذ هذه القوائم معي لأطلع عليها الكولونيل .

– أتريد أن تقابل الفتاة .. ؟

– لا ... فقد أمر الكولونيل أن تترك وحدها حتى يحضر إليها غدا .. إنها

بالتأكيد موثقة بالقيود بإحكام .

فأجابه الهولندي :

– بالتأكيد فانا الذي قيدتها بنفسي .

وسمعت القس "شيستر" يزيح مقعده تهيؤا للانصراف ، فأسرعت بالانسحاب ،

وتسللت راجعة إلى سجنني ووقدت على الأرض كما كنت من قبل ، ولففت الحبال

حول معصمي وساقني حتى إذا خطر لهم أن يلقوا نظرة إليّ .. وقع في روعهم أنني

مازلت أرسف في أغلالي .

ولبثت ساعة ساكنة في مرقدي أتحن فرصة للفرار ، ولكنني حين تسللت من الغرفة مرة أخرى وجدت الخفير مازال جالسا على مقعده عند الباب ، ولكنه كان يقظا ساهرا على الحراسة .

وطلع الفجر ، وبدأت الأصوات تعلو من الطابق الارضي ، فوقفت بباب غرفتي أنصت إليها .

وأدركت مما سمعت أنهم فرغوا من تناول الفطور ، ثم غادر " شيستر " البيت يصحبه الهولندي . وأطلت من فوق الدرج فوجدت الخفير يدخل إلى قاعة الطعام ليرفع الصحف .

وعندئذ لم أتردد لحظة واحدة .. هبطت الدرج مسرعة وانطلقت إلى الخارج وأنا أجري بكل سرعتي .

كان الناس يتطلعون باستغراب إلى هذه المرأة التي تركض بأقصى سرعتها ولكنني كنت لا أنفك أسألهم من حين لآخر : " أين المحطة " .. ؟ فيشيرون إليها وأتابع الجري ، وتتبدد دهشتهم على الفور إذ من المألوف أن يجري المرء ليلحق بقطاره قبل أن يتحرك وحين رأتهني "سوزان" ارتمت على صدري وهي تقول :

- أين كنت يا حبيبتي "آن" .. ؟ أين بت الليلة .. ؟ لقد انزعجت عليك انزعاجا شديدا .

فأجبت :

- كنت غارقة في المغامرات .

ورويت لها ما ربي ، فقالت :

- لقد استهدفت حقا للموت .

ثم أردفت :

- والآن ماخطتنا المقبلة .. ؟

فأجبت :

- إنك مسافرة بالتأكيد إلى "روديسيا" لتراقبي "باجيت" .

- وأنت ..؟ ما الذي تنوين ..؟

وكان سؤالاً من الصعب الإجابة عنه .

لقد رأيت القس "شيستر" بين المتأمرين ، ولكنه لا يعرف أنني كشفت سره ،

فإذا استطعت أن أرقب تحركاته فذلك كفيل بإماطة اللثام عن اللغز الخفي .

ولكن ما الذي يعتزمه "شيستر" الآن ..؟ هل ينوي أن ينفذ خطته الأصلية

فيسافر إلى "ديريان" ، أم أنه عدل عن ذلك وسيواصل رحلته على الباخرة ؟

ورأيت أن أسافر إلى "ديريان" ، فإذا ما بلغه فراري فلا أسهل عليه من أن يزابل

المركب في أحد الموانئ ويلحق بي في "ديريان" .

وعلمت أن القطار يتحرك إلى "ديريان" في الثامنة .

وسألتني "سوزان" ونحن نتناول الشاي في قاعة الجلوس :

- وهل تستطيعين يا ترى أن تتعرفي على "شيستر" ..؟ أعني إذا تنكر على

صورة أخرى ؟

ودخل الكولونيل "ريس" إلى القاعة في هذه اللحظة وانضم إلينا .

وسألته "سوزان" :

- إنني لم أر السيد "أوستاس" اليوم .

- إن لديه مشكلة أقضت عليه مضجعه .

- حقا ..؟ حدثنا عنها إذن ... ما هي مشكلته ..؟

فسكت هنيهة ثم قال :

- ما رأيك إذا عرفت أن الرجل ذا السترة الرمادية كان رفيقنا لنا طوال هذه

الرحلة؟

فهتفت "سوزان" :

- حقا ؟ ماذا تقول ؟

واستطرد "ريس" :

- ورجال الشرطة يراقبون الآن جميع الموائى ... لقد استطاع أن يخدع "بيدلر" ويلتحق بالعمل لديه سكرتيرا له .

- أتعني أن "باجيت" هو "ذو السترة الرمادية" ..؟

- بل أعني السكرتير الآخر .. "رايبورن" .
فتساءلت "سوزان" :

- وهل قبضوا عليه ..؟

- لقد ذاب في الهواء .

- وما رأي السيد "أوستاس" فيما حدث ..؟

- إنه يكاد يجن غضبا .

وتسنى لنا بعد الظهر أن نعرف رأي السيد "أوستاس" في الأمر فقد دعانا إلى مشاطرته الشاي .

ثم قال وفي صوته نبرة من الغضب :

- أولا: امرأة أجنبية تقتل في بيتي في "فيللا الطاحونة" فلماذا اختارت بيتي دون بيوت الناس أجمعين ..؟

واستطرد :

- وثانيا: يأتي إلي .. وبكل جسارة ويطلب مني أن أحقه بخدمتي سكرتيرا .. وهكذا أصبح لي سكرتيران : أحدهما قاتل سفاح ، والثاني يدمن الخمر حتى يفقد توازنه فيقع على الأرض وتتورم عينه .

والتفت السيد "أوستاس" إلي وقال :

- ما رأيك يا آنسة "بيدنجفيلد" في أن تعلمي سكرتيرة لي بصفة مؤقتة ريثما تشفى عين "باجيت" المتورمة ..؟

فقلت :

- شكرا لك يا سيد "أوستاس" ، ولكنني مسافرة الليلة إلى "ديريان" ..؟

وحاول أن يغريني بالقبول ، ولكنني أصررت على الاعتذار .

وضغط السيد "أوستاس" الجرس واستدعى "باجيت" وقال له :
- لقد اعتذرت الآنسة "بيدينجفيلد" عن العمل سكرتيرة لي ، فإذهب إلى الغرفة التجارية ، وابحث لي عن سكرتيرة تجيد الاختزال ، ويجب أن تكون جميلة ، والا يكون لديها اعتراض على أن أمسك بيدها أو أربت وجنتها .

وحين خلوت إلى "سوزان" قلت لها :

- علينا إذن أن نعدل خطتنا . و "باجيت" باق هنا ولن يرافق السيد "أوستاس" في رحلته إلى "روديسيا" ، وبذلك سيفلت من مراقبتك له .
فقلت :

- إذن سأبلغ السيد "أوستاس" أنني عدلت عن مرافقته إلى "روديسيا" .
- لو أنك فعلت هذا لآثار تصرفك شكوك "باجيت" ... ثم إن سفرك ضروري على أية حال حتى يتسنى لك مراقبة الآخرين .

وأخذنا نتداول في الأمر ، وأخيرا قلت :

- اسمعي يا "سوزان" ... إن لدي فكرة ستمكيني من مراقبة "باجيت" ..
سأنتظر بانني مسافرة الليلة إلى "ديريان" ، ثم أمضي إلى أحد الفنادق فأقضي فيه ليلتي خفية دون أن يخطر ببال أحد أنني لم أغادر "كيب تاون" . وفي الصباح أغادر الفندق متنكرة وأقتفي خطوات "باجيت" .

- هل تنوين أن تضعي شاربا مستعارا ..؟

فضحكت وأجبت :

- سأضع نظارة سوداء سميقة ، وأغير تصنيف شعري ، وأدهن حاجبي بخط أسود كثيف ، فإذا ما رأني "باجيت" استحال عليه أن يعرفني .
وأقرت "سوزان" هذه الخطة وراقت لها .

وتناولنا العشاء على مائدة السيد "أوستاس" ، وكان في نيتي أن أودعه بمسمع من "باجيت" وأن أقول له : إنني مسافرة الليلة إلى "ديريان" ، ولكن "باجيت" تناول طعامه في عجلة وزايل المائدة قبل أن تتاح لي هذه الفرصة .

ولما فرغنا من العشاء ذكرت للسيد "أوستاس" أنني مسافرة فقال :
- هكذا سمعت . وبهذه المناسبة يمكنك أن تستقلي السيارة مع "باجيت"
ليوصلك إلى المحطة فإنه خارج الآن .
وكان هذا بالتأكيد كفيلا بأن يفسد خدعة تظاهري بالسفر إلى "ديريان" فقلت
معتذرة :

- شكرا لك ، فقد استدعت السيدة "بلير" تاكسيا وستصحبني إلى المحطة .

ومضينا إلى ردهة الفندق ، وقلت لأحد السعاة :

- استدع تاكسي وانقل إليه حقائبي .

وسمعت صوتا ورائي يقول :

- لا داعي للتاكسي ... يمكنني أن أنقلك إلى المحطة بسيارة السيد "أوستاس"
فإنني خارج الآن .

وكان المتكلم هو "باجيت" . واعتذرت ، ولكنه ألح ، ولم أر مناصا من القبول
حتى لا أثير شكوكه .

توقفت بنا السيارة أمام مبنى المحطة ، وجاء أحد الحمالين فحمل حقيبتي ،
ومددت يدي إلى "باجيت" أضافه وأشكره ، ولكنه قال :

- إن لدي متسعا من الوقت فلا بد أن أصحبك إلى داخل المحطة إلى أن يتحرك
القطار .

وهكذا صحبني حتى استويت جالسة في مقصورتني ، ووقف مع "سوزان" على
رصيف المحطة يتحدثان إلي ، ولكنني كنت لاهية عنهما لا أكاد أفقه حرفا مما
يقولان .

كيف أتخلص من هذه الورطة .. ؟ إنني لم أكن أنوي السفر إلى "ديريان" ،
ولكن وجود "باجيت" يحول دوني والتسلل من القطار ، فما العمل .. ؟ ما
العمل .. ؟

ويبدو أن "سوزان" هي الأخرى كانت تفكر في طريقة تنقذني بها من هذه

الورطة .

تطلعت إلى ساعتها وقالت :

- سيتحرك قطارك بعد خمس دقائق .. إنها رحلة شاقة ، وسوف تعانيين الحر ،

فهل جئت معك بزجاجة كولونيا ..؟

وفهمت ما ترمي إليه فقد كانت هي نفسها التي زودتني بزجاجة كولونيا ،

فهتفت في رنة أسف .

- يا إلهي ..! لقد نسيت .

وتحولت "سوزان" إلى "باجيت" وقالت له :

- أمام المحطة صيدلية فأسرع واشترت زجاجة كولونيا .

فقال معترضا :

- ولكن الوقت ضيق .

- أمامك أربع دقائق فإذا أسرعت عدت في الوقت المناسب .

وتلكا "باجيت" وتردد ولكن السيدة "بليير" بلهجتها الآمرة صرخت فيه :

- هيا .. تحرك أسرع .. أسرع .

ولم يسع "باجيت" إلا أن يلبي أمرها .

أسرع يهرول عبر الرصيف حتى خرج من فناء المحطة .

وهتفت بي "سوزان" :

- والآن اخرجي من الباب الثاني للمركبة ، وانزلي على الرصيف المقابل ، وتواري

عن الأنظار ، فإن "باجيت" لن يعود إلا بعد أن يتحرك القطار .. أما ثيابك

فلاتهتمي بها .. يمكنك أن تشتري غيرها على حسابي . أما أنا فساظل واقفة

بجانب نافذة المقصورة أنتظأه بأنتي أتحدث إليك .

وأسرعت أنفذ المؤامرة .. في خلال ثلاث ثوان كنت متوارية وراء أحد الأعمدة

على الرصيف المقابل .

ونجحت الخطة ، وتحرك القطار و"باجيت" قادم يلتهث ركضا عند باب

المحطة .

ولوح "سوزان" بيدها كأنها تودعني والقطار يبتعد ويزيد من سرعته رويدا رويدا .

ولحق بها "باجيت" وفي يده زجاجة الكولونيا ، فالتفتت إليه "سوزان" قائلة :

- آه .. إنك تأخرت .. هذا شيء يؤسف له ..

وبينما أنا خارجة من باب المحطة مهولة اصطدمت برجل ضئيل الجسم ذي أنف ضخمة لا يتناسب مع وجهه الصغير ، فاعتذرت إليه ، وتابعت طريقي .

- 19 -

لم أجد صعوبة في تنفيذ خطتي ، فقد اهديت بسهولة إلى فندق صغير في أحد أركان المدينة .

وغادرت الفندق في الصباح الباكر وذهبت إلى المدينة لأشتري مجموعة من الفساتين الرخيصة وقبعة أخفي بها معالم وجهي .

و حين فرغت من شراء ما أحتاج إليه ركبت الترام ، ومضيت إلى إحدى الضواحي الريفية . ورحت أتمشى في الشوارع الهادئة أستمتع بالهواء النقي حتى يحين وقت سفر السيد "أوستاس" .

وانعطفت في شارع جانبي ، ثم لاحظت أن رباط حذائي قد انحل فانحنيت أربطه .. وبرز من المنعطف ورائي رجل كاد يصطدم بي وأنا منحنية فوق الحذاء فرفع قبعته وتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، ومضى في طريقه . وخيل إلي أن وجهه مألوف لدي ، وفجأة تذكرت هذا الوجه .

إنه الرجل نفسه ضئيل الجسم ذو الأنف الكبير الذي اصطدم بي عند مغادرتي المحطة .

ما الذي جاء بهذا الرجل إلى هذه الضاحية القصية .. ؟ هل تراه يتعقب

خطواتي...؟

تطلعت في ساعتني واتجهت إلى محطة الترام ، ولحمت قطارا يكاد يتحرك ، فأسرعت أجري لالحق به . وسمعت وقع خطوات تركض بعقبني ، فالتفت خلسة ، فإذا بذني الأنف الكبير هو الذي يتعقبني . وفي اللحظة التي بلغت فيها الترام وتعلقت به كان هو الآخر قد حذا حذوي وتعلق بالترام نفسه ..

ترى أكان الأمر مجرد مصادفة أخرى ، أم أنه يطاردني ويتعقبني ..؟ وأردت أن أستوثق بالأمر ، فشددت حبل جرس الترام فجأة قبل أن يبلغ المحطة التالية ، ونزلت فيها ، ولم يكن في وسع الرجل أن يحدو حذوي ، وإلا كشف نفسه .

وتواريت في أحد الأركان ، ثم رأيت قادمًا من ناحية المحطة التالية ، وهو يوسع الخطو لاهثًا ، وعيناه تدوران في أرجاء المكان بحثًا عني .

ولم يعد في الأمر خفاء بعد هذا .. إنه جاسوس يتعقب خطواتي وإذن فـ"جاي باجيت" يعرف الآن أنني لم أسافر إلى "ديريان" ، فأطلق هذا الرجل في أثري .

وركبت الترام التالي ، وفعل مطاردي مثلما فعلت .

وأيقنت عندئذ أن المسألة ليست قاصرة على "باجيت" وحده ، إذ لاشك في أنني إزاء منظمة قوية يرأسها هذا "الكولونيل" الغامض ، ولها أعوان وأنصار في كل أرجاء البلاد .

واستعدت إلى ذهني بعض ما دار من حديث في الباخرة "قصر كيلموردن" ، وكيف كانوا يتحدثون عن الإضراب الشامل الذي سيقوم به العمال ، وحوادث التخريب التي وقعت دون أن يكتشف رجال الشرطة مرتكبها . لاشك في أن "الكولونيل" الغامض وراء هذه الأحداث كلها .

وبلغ الترام محطة شارع "إديرلي" فنزلت منه ومضيت أسير على الإفريز الأيسر ولم أحاول أن أختلس النظر وراثي ، فقد كنت موقنة من أن مطاردي

بعقبى .

ودخلت إلى كافيتيريا مررت بها في طريقي ، وجلست إلى طاولة المشرب ، وطلبت "آيس كريم بالصدودا" ، وجعلت أرشفه على مهل . ورأيت مطاردي يدخل ورائي ويجلس إلى مائدة قريبة من باب الكافيتيريا . وفجأة هب مطاردي واقفا وخرج إلى الطريق وخطر لي أنه لا بد أن يكون قد خرج لأنه لمح في الطريق شخصا ما أراد أن يتحدث إليه .

وتطلعت إلى الخارج فرأيت مطاردي يتحدث إلى رجل آخر ، وما كان هذا الرجل إلا "جاي باجيت" .

وتبادلا الحديث برهة ، ويبدو أن "باجيت" أصدر إليه تعليماته؛ إذ ما لبثت أن رأيتة ينصرف إلى شأنه بعد أن تطلع في ساعته .

ولشدة دهشتي رأيت مطاردي يعبر الطريق ويتجه إلى شرطي كان واقفا على الإنفريز المقابل .

وتحدث الرجل طويلا إلى الشرطي ، وكان في خلال ذلك يشير إلى الكافيتيريا .

ترى ما الذي يريده مطاردي من الشرطي . . ؟

وفجأة وضحت الخطة لي وانجلت أمام عيني .

إنها المؤامرة نفسها الجهنمية القديمة :

فكما اتهموا "هاري رايبورن" من قبل بأنه هو الذي سرق ألماسات "دي بيرس"

ولفقوا له هذه التهمة الزائفة فإنهم يريدون الآن أن يلصقوا بي أية تهمة . . تهمة

نشل مثلا حتى يقبض عليّ الشرطي ويزيحووني من الطريق .

وأسرعت إلى المشرب ونقدت البائع ثمن "الآيس كريم" ، ولشدة دهشتي

وجدت في حقيبتي حين فتحتها محفظة محشوة بأوراق النقد .

يا لدعائهم وبراعتهم . . لقد استطاعوا أن يدسوا الحافظة في حقيبتي ليتخذوا

منها دليلا على أنني نشلتها من مطاردي ، وبذلك يطبق عليّ الاتهام .

وخرجت من الكافيتيريا مسرعة ورأيت مطاردي وفي رفقته الشرطي يتجهان إلى

ناحيتي ، فأسرعت أجري صوب محطة السكة الحديد ودخلت إلى فناء المحطة من الباب الرئيسي في شارع إديرلي ، ثم نفذت من الباب الجانبي ، ولكن مطاردي لم يحاول أن يلحق بي إذ وقع في روعه أنني سأدور حول المبنى لأدخل مرة أخرى من الباب الرئيسي لأستقل أي قطار أوشك أن يسافر ؛ ولذلك آثر أن يرتد مع الشرطي وأن يعودا ثانية إلى الباب الرئيسي ، ولكنني ما كدت أراهما يفعلان ذلك حتى نفذت من الباب الجانبي ورجعت إلى المحطة .

ورأيت قطارا يتحرك ، وأدركت على الفور أنه القطار الذي يستقله السيد "أوستاس" إذ كان هذا هو موعد مسيره ، فقفزت إليه .

ورآني مطاردي والشرطي أئب إلى القطار فأسرعا بعقبني ، ولكن كان مستحيلا أن يلحقا بي وقد بدأ القطار يزيد من سرعته ويطوي الأرض .

وجاء قاطع التذاكر فقلت له :

- إنني سكرتيرة السيد "أوستاس بيدلر" فأرجوك أن تذهب بي إلى مقصورته .

وفوجئ السيد "أوستاس" وأصحابه حين دخلت إليهم .

وهتف الكولونيل "ريس" :

- عجبا .. أنت هنا .. كنت أظن أنك سافرت ليلة أمس إلى المؤامرة ..

وضحك السيد "أوستاس" وقال :

- إنني سعيد بعودتك فقد سئمت سكرتيرتي الدميمة الآنسة "بيتجرو" ، فإني

لفرط دامتها لم أستطع أن أمسك بيدها أو أربت على وجنتها . أما الآن فهانتذي

قد جئت نجدة لي . فهيا اقتربي لأربت وجنتك .

وأغرقتنا جميعا في الضحك .

وحين دخلت علينا الآنسة "بيتجرو" بعد لحظات ورأني عراها اضطراب مفاجئ

وأفلتت أصابعها القلم الرصاص الذي كانت ممسكة به فانكسرت سنه .

فلماذا اضطربت ..؟ نعم لماذا ..؟ كان هذا سرا مستغلقا لم أجد له تعليلا .



(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

هأنذا الآن مسافر إلى "روديسيا" ومعني ثلاث سكرتيرات وقد احتكر "ريس" لنفسه الفتاتين الجميلتين ، وتركني مع تلك الدميمة الأنسة "بيتجرو" التي نكبت بها. إن هناك شيئا عجيبا غامضا بشأن "آن بيدنجفيلد" .. لقد ذكرت لي ليلة الامس أنها ستسافر إلى المؤامرة ، ثم إذا بها تظهر فجأة في اليوم التالي ، وتقفز إلى القطار في اللحظة الأخيرة بعد أن تحرك .

فاين كانت ..؟ وأين أمضت ليلتها ..؟

لقد أكد لي "بادجيت" أنه شيعها إلى المحطة ، وأن القطار تحرك بها أمام عينيه .
الحق أن لدي حفنة عجيبة من السكرتيرين .

السكرتير الأول: قاتل سفاح هارب من الشرطة .. والثاني: سكير مدمن سافر إلى "فلورنسا" فتورط في بعض الجرائم أو المؤامرات .. والسكرتيرة الثالثة: فتاة حسناء لها القدرة على أن توجد في مكانين مختلفين في وقت واحد : في "ديريان" وفي الوقت ذاته في "كيب تاون" . أما السكرتيرة الرابعة: الأنسة "بيتجرو" وبلا شك أنها عضو في إحدى العصابات .

وضقت ذرعا بهذه الخواطر التي انهالت عليّ فمضيت إلى شرفة المركبة الأخيرة ، ورأيت الكولونيل "ريس" محاطا بحريمه وهو يسرد حكاياته التافهة .

وكانت السيدة "بليير" تحمل آلة تصوير وهي منهمكة في التقاط عشرات من الصور لكل ما حولها .. حتى للقطار الذي تستقله .

وسالتني السيدة "بليير" :

- إلى متى تنوي أن تبقى في مدينة الشلالات يا سيد "أوستاس" ..؟

فاجبت في حذر :

- هذا يتوقف على الحالة في "جوهانسبرج" ... فإنني لا أريد أن أزورها في

الوقت الحاضر لاني أعتقد أن الثورة وشيكة الاندلاع .

فابتسم الكولونيل "ريس" وقال في استعلاء :

– إن مخاوفك لا أساس لها يا سيد "أوستاس" فـ "جوهانسبرج" مدينة هادئة .
وأخرجتني كلماته فقد بدوت أمام النساء الحاضرات جباناً رعديدا تذهب بي
الأوهام كل مذهب .

فقلت له في برود :

– أحسبك تنوي أن تزور "جوهانسبرج" ..؟

– هذا محتمل جدا ، وأرجو أن أصحبك إليها .

فقلت :

– ربما أطيل إقامتي في مدينة الشلالات .

ولكن لماذا يحاول "ريس" أن يغريني بزيارة "جوهانسبرج" ..؟ لعله مغرم بـ "آن
بيدنجفيلد" ، ولا يريد أن يفترق عنها ، إذ إنه يعلم أنها ستظل في صحبتي .
وانكشف لي شيء من غموض "آن بيدنجفيلد" ، فقد لاح لي أنها تعمل محررة
في صحيفة الـ "ديلي بادجيت" ، فقد بعثت وهي في مدينة "دي آر" بالعديد من
البرقيات إلى صحيفتها .

وقد خيل إليّ من الشرثرة التي تناهت إلى أذني طوال الليل وهي تحدث السيدة
"بلير" في مقصورتها وتتلو عليها مقالاتها أنها كانت منذ أسابيع تطارد الرجل ذا
السترة الرمادية ، وأنها لم تكن تعرف أنه يشاطرها الرحلة نفسها في الباخرة
"كيلموردن" وفهمت أيضا من حديثها مع السيدة "بلير" أنها اكتشفت شخصية
الأجنبية الحسنة التي قتلت في البيت الذي أملكه في "مارلو" أي في "فيللا
الطاحونة" . لقد عرفت أنها راقصة روسية شهيرة تدعى "نادينا" .

ومهما يكن من الأمر فقد قالت في برقياتها للصحيفة إن شرطة "جنوب إفريقيا"
تبحث عن الرجل ذي السترة الرمادية ، وأن أوصافه وزعت على جميع رجال
الشرطة .

وفي كل محطة نقف فيها تشتري هي والسيدة "بلير" تلك الدمى الصغيرة الحقيرة التي يصنعها المواطنون من أهل البلاد حتى لقد بلغ عدد ما اشترته منها حوالي خمسين دمية .
ترى ما سر غرامهما بهذه الدمى المضحكة التافهة ، المصنوعة بطريقة بدائية سخيفة .

- 21 -

(أن بيدنجفيلد "تتابع قصتها")

كان البائعون ينقضون على القطار ومعهم دمي من الخشب تمثل الحيوانات التي تزخر بها الغابات .

والذي حدث بعد هذا أننا بدأنا نشترى هذه الدمى في كل محطة نقف فيها، بل أخذنا نتنافس على الشراء مأخوذتين مبهورتين .

وفي الليلة التي انضمت فيها إلى جماعة السيد "أوستاس بيدلر" في القطار سهرت في مقصورة "سوزان" أروي لها تفاصيل الأحداث التي مرت بي، وكيف أن المنظمة السرية أصبحت تتعقب خطواتي في وحشية ، وكيف أنهم يرمون إلى اختطافي لينتزعوا مني بعض المعلومات .

وطرأت ببالي فكرة جديدة ، فقلت لـ "سوزان" :

– ولكن لم لا يكون "بادجيت" هو نفسه "الكولونيل" الغامض رئيس العصابة الخفي ؟

– ولكن "سوزان" أبت أن تقرني على هذه الفكرة قائلة :

– إن "بادجيت" ضعيف الشخصية ، فلا يمكن أن يسيطر على هذه المنظمة الإجرامية القوية .

فقلت :

– حسبه أن يكون الرأس المدير المفكر : يخطط ويدبر .

وفجأة قلت :

- وعلى فكرة .. كم أتمنى أن أعرف كيف جمع السيد "أوستاس" ثروته الطائلة.

- يا إلهي ! أمارلت تشكين فيه .. ؟

- إني لا أملك إلا أن أشك في كل إنسان .

فقلت "سوزان" :

- لقد ترامي إليّ أنه جمع ثروته بوسيلة يكره أن يتحدث عنها .

- لعلها إذن وسيلة ملتوية غير شريفة .

فقلت "سوزان" :

- هذا جائز .

وبدأنا بعد ذلك نناقش موقفي بالنسبة إلى صحيفة الـ "ديلي بادجيت" .

إن رأسي زاخر بالمعلومات ، فلماذا لا أبعث بها إلى صحيفتي لنشرها .. ؟ لقد اكتشفت أن "هاري رايبورن" هو الرجل ذو السترة الرمادية ، وإن كنت أعلم أنه بريء من تهمة قتل الراقصة الروسية "نادينا" . ونشر هذه القصة لن يزيد موقفه سوءاً لأن جميع رجال الشرطة يجدون في أثره .

وهكذا استقر رأبي على أن أبعث إلى الـ "ديلي بادجيت" بكل ما لدي من معلومات .

ونشرت الـ "ديلي بادجيت" التحقيق الذي بعثت به إليها تحت عناوين بارزة . وجاءتني برقية من اللورد "ناسبي" يهنئني على توفيقني ونجاحي .

وصلنا إلى "بولا وايو" صباح السبت .

وكان السيد "أوستاس" ساخطاً عصبياً ، وأعتقد أن دمي الحيوانات التي اشتريتها أنا و"سوزان" هي التي أثارت حنقه ، وخاصة تلك الزرافة الخشبية الكبيرة

الحجم التي عهدنا إليه بحملها .

ويجب أن أترف أن حمل خمسين دمية من هذا الطراز كان كفيلا بأن يريكنا
ويضايقنا .

وقد حمل أحد الحمالين جزءا من هذه الدمي كما حمل الكولونيل "ريس"
بعضها . وكان من نصيب الأنسة "بيتجرو" شيئا منها أيضا .

وبعد الظهر ذهبت مع كولونيل "ريس" نزور قبر "رودس" . أخذت السيارة
الفورد العتيقة تشق بنا الطريق إلى جبل "ماتابوس" ونحن صامتان لا نكاد نتبادل
كلمة واحدة .

وانتهينا إلى منطقة مليئة بصخور ضخمة . فقلت وأنا أتأملها :

– من يرى هذه المنطقة البدائية يخيل إليه أنها كانت مسكونة في قديم الأزمان
بالجان والعمالقة .

فقال الكولونيل "ريس" مؤمنا :

– صدقت .. و"إفريقيما" كلها على هذا النمط : وحشية بدائية كأنها بلاد
المردة. نزلنا من السيارة وأخذنا نثب من صخرة إلى صخرة لنبلغ القمة حيث يقوم
النصب التذكري لـ"رودس" .

وفجأة كففنا عن المسير ، ووقف الكولونيل "ريس" في مواجهتي وسألني :

– آنسة "آن بيدنجفيلد" .. ما الذي جاء بك إلى هذه البلاد ..؟

فأجبت :

– نورية تطوف بأرجاء العالم .

– إنني لا أصدق هذا .. حكاية أنك مندوبة صحفية مجرد ذريعة للتصوير .. ما

هي حقيقة مهمتك ..؟

أشحت بوجهي قليلا حتى لا تتلاقى عينايا بعينيه وقلت له :

– كولونيل "ريس" .. هل لك أن تصارحني بما جئت أنت تفعله في هذه

البلاد ..؟

فأجاب في هدوء :

- جئت سعيا وراء المجد والطموح .

- إنهم يقولون إنك تعمل في المخبرات ، فهل هذا صحيح ؟..

فأجاب :

- أحب أن أؤكد لك يا آنسة "آن" أنني جئت إلى هذه البلاد كفرد عادي لا شأن

له بأي عمل رسمي .

وعدنا إلى السيارة بعد أن شاهدنا مقبرة "رودس" ، وفي طريق العودة مررنا بأحد المطاعم فاقترح "ريس" أن نتناول قدحا من الشاي مع شيء من الفطائر. وفوجئت بأن احتشدت حولنا مجموعة من القطط الجائعة ، وهي تموء بشدة وترنو إلينا بانظارها . فرميت إليها بعض لقيمات من الفطير فالتقمتها بسرعة .

ومضى الكولونيل "ريس" إلى صاحب المطعم ثم عاد يحمل إليها صحننا من الحليب (اللبن) والحيز ، فتهافتت عليه .

وفي السيارة قال لي :

- "آن" ... إنني في حاجة إليك .. هل تتزوجيني ؟

وكانت كلماته مفاجأة أذهلتني .

وأجبت متلعثمة :

- لا .. لا .. لا أستطيع .

- وما السبب ؟..

وأردت أن أكون صريحة لا أكتم دونه شيئا فقلت :

- هناك رجل آخر .

فهز رأسه وغمغم :

- فهتمت .. وهل كان هذا الرجل موجودا في حياتك قبل أن تستقلي الباخرة؟

فقلت :

- لا .. لقد حدث ذلك بعد ركوبي الباخرة .

فقال في صوت مختنق :

- فهمت .. الآن عرفت ما يجب علي أن أفعله .

- ماذا تعني ؟

فأجاب :

- لا شيء .. لا شيء !

وسادنا الصمت بعد هذا فلم نتبادل كلمة واحدة طوال رحلة العودة إلى الفندق .



ما إن دخلت على "سوزان" غرفتها في الفندق حتى ارتيمت على صدرها ، وانفجرت أبكي في مرارة .

وراحت تسألني عما ألم بي ، فحدثتها عن القبط التي تموء جوعا ، ولكن حديثي لم يخذعها ، فقد سألتني :

- وهل هذه القبط هي سبب هذه الرعدة التي تهز بدنك هزا عنيفا ؟

فقلت :

- إن أعصابي منهارة .. الوسواس تملأ صدري وأشعر كأن كارثة رهيبه توشك أن تنزل بي .

- دعك من هذه الأوهام يا "آن" ودعينا نتحدث عن شيء طريف مبهج ..

فلنتحدث عن الالماسات مثلا .

فتساءلت :

- وماذا عنها ؟ .

- أعتقد أن احتفاظي بها ليس من الحكمة في شيء ، فالناس يعرفون مدى

الصدقة التي بيننا ، وليس أهون عندهم من أن يعتقدوا أنني أنا التي أحتفظ بها

لدي .

- ولكن لا يمكن أن يتطرق إلى ظنهم أنها مخبأة داخل لفافة فيلم ..

فقلت :

- فلندع الأمر الآن .

وانتهينا أخيرا إلى مدينة الشلالات ، وذهبنا إلى الفندق واغتسلنا .
وبعد تناول الشاي ركبنا التروولي ، وأخذت جماعة من الزوج تدفعه صوب
الجسر الذي يفضي إلى الشلالات .
كان المشهد رائعا : الهوة عميقة لا قرار لها ، والمياه المتدفقة من أسفلها ، وغلالة
الرداذ المتناثر ، ومجرى النهر وهو يتدفق بسرعة مخيفة ويتكسر على الصخور
الهائلة .

وعبرنا الجسر ، ثم مشينا على الطريق الضيق الذي تحفه الصخور البيضاء على
جانبيه ، وهو يدور حول مجرى الشلال حتى ينتهي إلى الساحة الشاسعة التي تطل
على الهوة العميقة .

وقال الكولونيل "ريس" :

- أتريدون أن تهبطوا إلى أخدود النخيل ؟ أم تريدون أن ترجئوا الأمر إلى الغد؟
قد يكون الهبوط هنا ميسورا ، أما الصعود فمتعب شاق .
وآثرنا أن نرجئ هذه الرحلة إلى الصباح .

وقال الكولونيل "ريس" :

- أتمحبون أن تشاهدوا الغابة التي تتناثر فوقها مياه الشلال ؟

وأخيرا رجعنا إلى الفندق فتعشنا ، ثم أومنا إلى مخادعنا ، ولكن النوم جافاني .
وسمعت نقرات على باب غرفتي ، ودخل أحد سعاة الفندق يحمل إلي رسالة
مطوية ، كان هذا نصها !

يجب أن أراك . لا أستطيع بالتأكيد أن أظهر في الفندق . هل لك أن تقابليني
في ساحة الشلال المجاور لأخدود النخيل ،

إحياء لذكرى المقصورة رقم 17 ؟ أرجوك أن تليبي رجائي . . الرجل الذي عرفته
باسم "هاري رايبورن" .



إذن فـ"رايبورن" هنا في مدينة الشلالات ، يتوارى فيها عن أنظار رجال الشرطة الذين يطاردونه .

ولم أتردد لحظة واحدة ، وأسرعت أتسلل من غرفتي ، ومررت بغرفة السيد "أوستاس" وسمعتة يملي خطابا على سكرتيرته الآنسة "بيتجرو" ، أما الكولونيل "ريس" فلم يكن لا في غرفته ولا في قاعة الجلوس .

تسللت خارجة من الفندق دون أن يشعر بي أحد وتابعت طريقي إلى الساحة المشرفة على الهوة وأخدود النخيل .

مشيت ست خطوات ، ثم توقفت ، وتسمرت مكاني لقد سمعت خشخشة ورائي....

وتقدمت خطوات أخرى ، وسمعت الخشخشة نفسها .

ثم رأيت شبح رجل يبرز فجأة في أحشاء الظلام ، ويقفز في الهواء محاولا أن ينقض عليّ .

كان الظلام دامسا فلم أتبين وجهه ، وكان كل ما أيقنت منه أنه مديد القامة يرتدي ثيابا أوربية .

وانطلقت أجري وهو يعقبني . وفجأة شعرت بأنني أخطو في الفضاء وأن قدمي لم تستقرا على أديم الأرض .

ومن ورائي سمعت الرجل يطلق ضحكة مدوية . كانت ضحكة رهيبة .. ضحكة شريرة شيطانية .

وبدأت أهوي إلى أسفل .. إلى أسفل .. إلى أسفل .. وصدى الضحكة الشيطانية يصك سمعي .

شعرت برأسي يطن ويدق ، وعندما حاولت أن أحرك ذراعي الأيسر سرى فيه ألم حاد .

ثم أخذ النوم يراودني مضطربا ، حتى غلبني النعاس أخيرا .
وصحوت مرة أخرى وقد انجاب الكابوس عن رأسي ، وتجلت الصور الباهتة المتداخلة ، وتذكرت كل ما حدث :

تلقيت رسالة " هاري " ، وأسرعت إلى لقاءه في ساحة الشلالات ، ثم ذلك الشبح الذي برز إليّ من أحشاء الظلام .. وركضت هاربة .. ثم إذا بقدمي تخطوان إلى الفضاء ، وأتردى في الهاوية .

وخيل إليّ لأول وهلة أنني وحدي في هذه الغرفة ولكنني ما لبثت أن أدركت أن هناك إنسانا يجلس على مقعد بين سريري وبين الباب . ولكن صاحب الوجه حينما رأني أتحرّك نهض واقفا واقترب مني ومال فوق وجهي يتطلع إليّ .

وسألني :

- كيف حالك الآن ! هل أنت بخير ؟

وعرفته على الفور .. إنه " هاري رايبورن " !

وعجزت عن النطق ، فقد أخذت الدموع تنساب على وجهي

وهمس في صوت رقيق حان :

- لا تبكي يا "آن" .. إنك الآن في أمان .

ثم مضى عني وعاد يحمل إليّ قدحا من الحليب (اللبن) وقال :

- لا توجهي إليّ الآن أي سؤال ، بل نامي واستريحي .. وفيما بعد سوف

نتحدث طويلا .

وأخذ بيدي بين راحتيه ، وهمس :

- أغمضي عينيك .. نامي .

أطبقت عيني ، وهدأت أنفاسي ، وانتظمت ، وما لبثت أن غرقت في النوم .

وحين صحوت كان المساء قد هبط ورأيت امرأة عجوزا سوداء الوجه تجلس

بالقرب مني وتبتسم في وجهي في حنان .

ثم شعرت بخطوات تقترب ، وجاء " هاري " إلى الغرفة وانسحبت المرأة .

وسألني :

- يبدو أنك استعدت قوتك الآن ؟

فأجبت :

- إنني بالتأكيد أحسن حالا ، ولكن أين أنا ؟

- إنك في جزيرة صغيرة في نهر " زمبيزي " تبعد حوالي 6.5 كم عن مدينة

الشلالات .

- وهل يعرف أصدقائي أنني هنا ؟

هز رأسه نفيا وأردف :

- يحسن بك ألا تبعثي إليهم بكلمة إلا بعد أن تستعيدي قوتك .

وسألته :

- كم مضى علي هنا ؟

وأدهشتني إجابته إذ قال :

- شهر تقريبا .. ولكن من هم أصدقاؤك هؤلاء ؟

- " سوزان " .. أعني السيدة " بليسر " والسيد " أوستاس بيدلر " والكولونيل

" ريس " .. ولكن كيف أنقذتني ؟ كيف عثرت علي ؟

- معلقة فوق شجرة تشرف على الهاوية وثيابك مشتبكة بالأغصان .. ولولا

أنني مررت مصادفة بهذا المكان لكان من الممكن ..

- مصادفة ؟ والرسالة التي بعثت بها إلي ؟

- إنني لم أبعث إليك بآية رسالة .. إنها مزيفة .

فعدت أسأله :

- ولكن ما الذي جاء بك إلى هذه الجزيرة المنعزلة ؟

- لأن فيها مسكني .. إنني أقيم هنا منذ وضعت الحرب أوزارها . وكنت أتجول

بالقرب من الشلالات فسمعتك تصرخين ، ورأيتك معلقة على الشجرة .

وعدت أسأله :

- ولكن لماذا لم تخطر أصدقائي بأنك عثرت عليّ ؟

فسكت هنيهة ثم قال :

- بيدولي يا آنسة "آن" أنك لا تدريين مدى الأخطار المحدقة بك .. إن الذي استدركك إلى الموت بهذه الرسالة المزيفة شخص يعيش في الفندق .. بالقرب منك .. ومن المحتمل جدا أن يكون عدوك واحدا من هؤلاء الأصدقاء المزعومين . فكيف بعد هذا أخطرهم بوجودك ؟

فقلت :

- حسنا .. لا داعي إذن لإخطارهم ، ولن أحاول أن أتصل بهم ..

فقال لي :

- أتريدين أن أسدي إليك نصيحة ؟

فقلت :

- إني مصغية إليك .

فأجاب :

- نصيحتي إليك أن تتظاهري بأنك مفقودة .. أعني لا داعي لأن تتصلي بأصدقائك .. دعيهم يعتقدون أنك مت ..

واستطرد :

- وعندما تستردين قواك سافري إلى "بييرا" واستقلي الباخرة من هناك وعودي إلى "إنجلترا" .

فقلت في ازدرأ :

- ألا يكون هذا التصرف مني جبنا وخورا ؟

فقال :

- إنك تتكلمين كالطفلة الصغيرة الساذجة .

فقلت في غضب :

- إنني لست طفلة صغيرة ! إنني امرأة .. امرأة ناضجة !
فتألمني بنظرة فاحصة ، وغمغم في صوت خافت :
- إنك والحق امرأة ناضجة ، وكان الله في عوني .
ثم انبعث واقفا واستدار فجأة وغادر الكوخ .



يوما بعد يوم بدأت أتمائل للشفاء وأسترد قواي .
وتتابعت الأيام ونحن نعيش معا ، ونتناول الطعام معا ، ونتناقش ونختلف
ونتشاجر أحيانا .

وكنت أعلم أن يوم الرحيل سوف يحل عاجلا .
وذات يوم كنت جالسة عند باب الكوخ وشعري الطويل منسدل على كتفي
ومنكبي ، إذ لم يكن لدي دبابيس أو مشابك أثبتت بها .
وفطنت فجأة إلى أنه كان يتألمني بنظرة حاملة . وقال :
- أتعلمين يا آنّ أنك تشبهين بهذا الشعر الطويل المنسدل حورية خرجت فجأة
من أعماق البحر ؟

وبسط إليّ يده ولمس شعري ، وجرت أنامله على جدائلي ، فسرت في أوصالي
رجفة هزت بدني .. ثم إذا به ينبعث واقفا وهو يسب ويلعن :
- اسمعي .. يجب أن تسافري غدا .. إنني لم أعد أحمّل بقاءك هنا يوما
واحدا .. إنني لست إلا مجرد بشر .. نعم .. يجب أن ترحلي يا آنّ ..
فقلت :

- أعرف ذلك .. ولكنك كنت سعيدا ، أليس كذلك ؟
- بل كنت أعيش في جحيم .. بالله عليك لماذا تعذبيني ؟ لماذا تسخرين مني ؟
- إنني لا أسخر منك .. إذا كنت تريد مني أن أبقى .. فسوف أبقى .. يكفي

أن تأمرني .

- "آن" .. لا تحاولي أن تستفزيني ! هذه حال لا تطاق ! هل تدركين من أنا ؟
إنني مجرم يطاردني جميع رجال الشرطة .. إنني رجل هارب مطاردا لا يستقر في
مكان واحد .. أما أنت ففتاة جميلة .. أمامك الحب والشباب ، وفي يوم ما سوف
تتزوجين ، وتصبحين من أسعد النساء .. نعم .. يجب أن أنقذك من نفسي ومن
نفسك .. غدا يجب أن تسافري .. بل الليلة إن أمكن .. لم أعد أطيق أن أبقى
معك تحت سقف واحد ساعة واحدة .

- 24 -

كان "هاري رايبورن" يرتجف انفعالا وهو يردد هذه الكلمات ..

وقلت :

- وهبني رحلت فما يكون من شأنك ؟

فأجاب :

- سابقى هنا حتى أنتقم لك .. وحين أعرف اسم من حاول أن يقتلك سوف

أدق عنقه وأقذف به إلى هوة الشلال الهادر كما أراد أن يفعل بك .

فقلت :

- يجب ألا تظلمه يا "هاري" إنني أخطأت الطريق فمشيت في اتجاه الهاوية .

فقال :

- إنك واهمة في هذا يا "آن" فقد ذهبت إلى الموضع نفسه وتبينت خطته

الجهنمية .. إنك تعلمين أن هناك ممرا ضيقا على رأس الهوة تحفه صخور بيضاء

تظل واضحة حتى في الليل لكيلا تضل خطى السائر ويتخطاها إلى الهاوية ولكن

هذا القاتل الشيطاني نقل الصخور البيضاء بحيث جعلها تتجه مباشرة إلى قاع

الهاوية . وبذلك كنت تسيرين بين الصخور البيضاء متجهة إلى حتفك وأنت لا

تعلمين .

- إذن فهي نية مبيتة لقتلي ؟
- تماما .. لقد أرادوا أن يقتلوك لأنهم يعتقدون أنك تعرفين أكثر مما ينبغي .
ثم أردف :
- وأظن أن من حقلك الآن أن تعرفي قصة حياتي .



وأنشأ "هاري رايبورن" يروي لي تاريخ حياته ..
إنني أدعى "هاري لو كاس" ، أما "هاري رايبورن" فاسم مستعار مزيف . وفي
الجامعة التقيت بزميلي "جون إيرديسلي" ، وهو ابن المليونير "إيرديسلي" صاحب
مناجم الذهب .

كان "جون" شابا متلافا مولعا بالقمار ، وطالما تورط في العديد من الفضائح ،
فيفرق نفسه في الديون ، أو يصدر شيكات بغير رصيد ، فيبادر أبوه إلى سداد
ديونه وينقذه من مخازيه . وضاق الأب يوما بأفعال ابنه فطرده من بيته .
وضاقت سبل العيش في وجه الابن ، فتخلى عن الدراسة في "كامبريدج" ،
ورحل إلى "أمريكا الجنوبية" ، ولما كانت أواصر الصداقة بيننا وثيقة متينة ، فقد
حذوت حذوه ، وصحبته في رحلته ، وعشنا معا في تلك البلاد نعاني شظف
العيش .

وأخيرا حالقنا الحظ فعثرنا على منجم للألماس في "غينيا البريطانية" ، وأدركنا
أن أبواب الثراء قد فتحت .

وأخذنا بعض عينات من الألماس ، وسافرنا إلى "كمبرلي" لنعرضها على الخبراء
لفحصها حتى يتبينوا مستواها .. وهناك في "كمبرلي" التقينا بها في الفندق ..
وأمسك "هاري" فجأة عن الكلام ، وتقلصت عضلات وجهه وتقبضت أصابعه
في ثورة وانفعال . ثم استطرده :

- كانت هذه المرأة تدعى "آنيتا جرونبرج" . هذا هو اسمها الحقيقي ، وكانت

مثلة ، وعلى غاية من الجمال والشباب الفائق المتدفق ...
وكانت تحيط بـ "آنيثا" هالة من الغموض ضاعفت فتنتها في نظر هذين الشابين اللذين جاءا من أعماق الأديال .

وهكذا وقعنا نحن الاثنان - أنا و "جون" - في هواها ، وأدارت رأسينا ، ومع ذلك ولشدة إخلاصنا المتبادل كان كل منا على استعداد لأن يسحق قلبه ، وأن يتخلى عنها للآخر الذي تختاره زوجا لها .

ولكن "آنيثا" كانت تبيت خطة أخرى خبيثة .. لم تكن تحب أيّا منا ، ولم تكن تنوي أن تقترن بأحدنا ، إذ كانت متزوجة فعلا من رجل يشتغل بصقل الألماس ، ويعمل في شركة "دي بيرس" ، وإن كانت قد كتبت عنا نبأ زواجها لغرض في نفسها .

وكنا بالتأكيد لفرط حبنا إياها وافتتاننا بها قد أفضينا إليها بخبر المنجم الذي عثرنا عليه .

وهكذا اتفقت "آنيثا" مع زوجها - ويدعى "كارتون" - وبمساعده واشترائه وقعت في "كمبرلي" سرقة كبيرة واختفى جزء من الألماس كانت شركة "دي بيرس" قد سلمته إلى البنك لإرساله إلى "إنجلترا" .

واتجهت الشبهات إلى هذين الشابين المغامرين اللذين قدما من "غينيا البريطانية" وألقى البوليس القبض علينا ، وفتشت أمتعتنا وعثروا فيها على حفنة من الألماس ، فقلنا : إنها عينات جئنا بها من منجمنا في "غينيا" ، وفحصها الخبراء فإذا بها نفسها هي جزء من تلك الألماس المسروقة من شركة "دي بيرس" .

وكانت "آنيثا" قد اختفت في ذلك الوقت ، فانكشف لنا سر المكيدة ، وأدركنا أنها سرقت العينات وهربت بها ، بعد أن وضعت مكانها جزءا من الألماس المسروق .

وتدخل السيد "إيرديسلي" في الأمر ، ودفع ثمن الألماس المسروق الذي قدر بحوالي ربع مليون جنيه ، وهكذا سحب "دي بيرس" شكواه وحفظت الدعوى ضدنا ، وأعلنت الحرب عندئذ فتطوعنا في الجيش ، ومات صديقي "جون" في

أثناء القتال إذ كان يلقي بنفسه في مغامرات حمقاء كأنما يسعى إلى الانتحار أما أنا فأصبت بجرح وآواني أحد المواطنين في داره حتى شفيت ، ولذلك أعلن الجيش أنني في عداد المفقودين .

وسكت "هاري" هنيهة ثم استطرد يقول :

وأقسم لك يا "آن" أنني حققت على هذه المرأة حقدا شديدا ... تلك المرأة التي لوثت اسمينا ، وكانت سببا في مصرع زميلي ، وموت أبيه بعد هذه الفضيحة المدوية ، إذ لم يحتمل الأب المسكين أن تعرف الدنيا أن ابنه لص مغامر .

ولجأت إلى هذه البلاد لأنها موطني الأصلي ، وعشت في هذه الجزيرة الصغيرة المعزولة ، واشترت قاربا أنقل فيه الناس عبر الشلالات ليشاهدوا معالمها . ثم وقع شيء أهاج في نفسي مكامن الذكريات الراكدة .

حدث يوما وأنا أنقل جماعة من الناس في قاربي أن مددت يدي أساعد رجلا على الصعود إلى القارب ، فما إن وقعت أنظاره علي حتى أطلق صيحة دهشة وذ هول ، وبانت في وجهه أمارات الخوف الشديد ، ولكنني تظاهرت بأنني لم أظن إلى ما حدث ، وظل الرجل طوال الرحلة يختلس إلى وجهي نظرات مذعورة .

فلما غادر قاربي تحررت عنه ، وعلمت أنه يدعى "كارتون" ، وأنه قادم من "كمبرلي" حيث يعمل في صقل الالماس في شركة "دي بيرس" .

وخطر لي أنه لابد كان مشتركا في تلك السرقة الكبيرة التي وقعت في "كمبرلي" ، والصفقت تهمة ارتكابها بي وبصديقي "جون إيرديسلي" .

ولم أتردد لحظة واحدة ، فسافرت إلى "كمبرلي" لأجمع مزيدا من المعلومات ، ورأيت أن خير وسيلة لذلك هي أن أواجه الرجل مباشرة وأصوب إليه مسدسي وانتزع منه المعلومات التي أبتغيها .

وذهبت إليه ليلا في بيته ، وشهرت مسدسي في وجهه ، وطلبت إليه أن يتكلم . واعترف لي بأن "آيتا جرونبرج" زوجته ، وأنهما دبرا السرقة معا ، ولكن "الكولونيل" هو الذي وضع الخطة بحيث يتخذ مني ومن صديقي "جون" كبش

القداء" فيوجه الاتهام إلينا نحن الاثنين دون أن يتطرق الشك إلى المتآمرين الذين سرقوا بالفعل ماسات "دي بيرس" .

وسألته عن اسم "الكولونيل" فأكد لي أنه لا يعرفه ، وطلبت منه أن يصفه لي فأقسم أنه لم يره في حياته . وعدت أهده بمسدسي ، وأذرته بأبني ساطق عليه النار ، لأن المصير الذي ينتظرني لا يخيفني مادمت أعيش في عزلة عن الناس مجللا بالعار .

وبدا "كارتون" يدلّي إلي بما كان يخفي من معلومات .

قال إن زوجته "آنيثا" لم تكن تثق بالكولونيل ، وكانت تعرف أنه رجل غادر يببش بأعوانه بعد أن يستغلهم ، وبعد أن يصبحوا عديمي الجدوى لا ينفعونه بشيء ؛ ولذلك آثرت أن تحتفظ لديها بشيء تهدده به حين ترى منه بوادر الغدر والخيانة ؛ ولذلك لم تسلمه جميع عينات الألماس التي سرقها منا ، وإنما احتفظت لديها بجزء منها لتكون سلاحا في يدها تشهره في وجهه إن آنست منه ما يخيفها ، فإن هذه الألماسات هي التي يمكن أن تبرهن بها على براءتي وبراءة "جون" ، وأن السارق الحقيقي هو "الكولونيل" .

واستطرد "هاري" يتم القصة :

وقال لي "كارتون" إن زوجته "آنيثا" سافرت بعد السرقة إلى "أوربا" ، واحترفت الرقص ، واتخذت لنفسها اسم "نادينا" الراقصة الروسية الشهيرة ، وعملت في "باريس" خلال الحرب ، واشتغلت بالجاسوسية واللصوصية والتزوير تحت إمرة "الكولونيل" وبتوجيهه . واختتم "كارتون" حديثه بأن قال إن زوجته كتبت إليه بأنها ستطلب من "الكولونيل" قدرا كبيرا من المال لتسلمه عينات الألماس الخاصة بي ، وإلا وشت به إلى "دي بيرس" ، وعندها سيعرف سر السرقة التي وقعت في شركته ، فيجر الكولونيل إلى غياهب السجون .

وعلمت بعد ذلك أن "كارتون" أخذ إجازة طويلة من عمله ، وأنه حجز لنفسه مكانا على الباخرة "قصر كيلموردن" المسافرة إلى "إنجلترا" ، فما كان مني إلا أن

حجزت لنفسني تذكرة على الباخرة نفسها، بعد أن تنكرت في صورة كهل ذي لحية سرى فيها الشيب .

وفي "لندن" تعقبت "كارتون" دون أن يشعر بي ، ورأيته يدخل إلى مكتب أحد سماسرة العقارات ، ويطلب تصريحاً بمشاهدة بيت في "مارلو" معروض للإيجار فقد دخلت إلى المكتب بعقبه وسمعت شطراً من حديثه ، وحذوت حذوه وبدأت أستعلم عن البيوت المعروضة للإيجار ، وبينما أنا أفعل ذلك إذا بزوجته "نادينا" تدخل المكتب لتستعلم بدورها عن المنازل الخالية ، ولكنها لم تعرفني بسبب تنكري . وسمعتها تطلب تصريحاً بزيارة بيت السيد "أوستاس بيدلر" في "مارلو" المعروف باسم "فيللا الطاحونة" ، أي البيت نفسه الذي طلب زوجها أن يشاهده . وأدركت على الفور أنهما سيتقابلان هناك ، وأن المقابلة بينهما ستجري بهذه الطريقة حتى يبدو وكأن الأمر جاء مصادفة فلا يثيران شكوك الكولونيل وأعوانه .

وسألت نفسي لماذا اختاراً بيت السيد "أوستاس" بالذات دون سائر البيوت . . ؟ لقد كنت أعلم أنه كان موجوداً في "جنوب إفريقيا" عند وقوع حادث السرقة ؛ ولذلك خطر لي أن من المحتمل جداً أن يكون السيد "أوستاس" هو ذلك "الكولونيل" الغامض الخفي .

وخرجت مسرعاً من مكتب السماسرة ، وتعقبت "كارتون" حتى رأته ينزل إلى نفق القطارات الكهربائية ، فدخلت وراءه ولكنه ما كاد يراني حتى بوغت ، فقد كان يعتقد أنني في "جنوب إفريقيا" ، فإذا بي منتصب أمامه في قلب "لندن" !..

وحدث عندئذ ما تعرفينه أنت يا "آن" ، فقد اختل توازنه لهول المفاجأة وسقط فوق القضبان المكهربة فصعقته ومات لساعته . ولما نقلوه إلى الرصيف تقدمت أفحصه مدعياً أنني طبيب ، إذ كنت أعتقد أن الأماسات التي تخصني في جيبه ولكنني لم أجد إلا لفافة وقصاصة من الورق دُون عليها موعد في اليوم الثاني

والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) في الباخرة "قصر كيلموردن". وعند مغادرتي المحطة وقعت الورقة من يدي والتقطتها أنت ، فكانت هذه القصاصة هي بداية مغامرتك كما ذكرت لي .

واستطرد "هاري" يقول :

وتبع "نادينا" إلى الفندق ورأيتها تتغدى ، ثم تعقبتها إلى "فيللا الطاحونة" في "مارلو" ، وزعمت لحارسة البيت أنني صديق لها ولكنني تخلفت عنها في مكتب البريد بضع دقائق لأبعث ببرقية .

على أنني ما كدت أدخل إلى الفيللا حتى رأيت "نادينا" أمامي مسجاة على الأرض جثة هامدة . وأسرعت بالفرار ولكن أوصافي عرفت ، وجد رجال الشرطة في البحث عني ، وهكذا نجح "الكولونيل" مرة أخرى في أن يلصق بي تهمة أنا بريء منها .

وبقيت بضعة أيام مختفيا متواريا عن الأنظار . واتفق في خلال ذلك أن سمعت طرفا من حديث يدور بين أحد رجال وزارة الخارجية والسيد "أوستاس بيدلر" . وعرفت من هذا الحديث أنه مسافر إلى "جنوب إفريقيا" ، فذهبت إلى منزله ، وزعمت عنده أنني موفد إليه من وزارة الخارجية لأصحبه في رحلته بصفتي سكرتيراه ، فجازت عليه خدعتي وصحبي معه ، وبذلك تسنى لي أن أغادر "إنجلترا" آمننا مطمئنا مستظلا بحمايته ، ودون أن يخطر ببال أحد أنني "الرجل ذو السترة الرمادية" الذي يجده جميع رجال الشرطة بعقبه .

وقاطعته بقولي :

- هل عرفت يا ترى أن "جاي باجيت" كان موجودا في "مارلو" يوم وقوع

الجريمة ..؟

فاجاب "هاري" :

- لا .. فقد كنت أعلم أنه في "كان" في صحبة مولاه السيد "أوستاس" .

فقلت :

– لقد كان المفترض أنه في "فلورنسا" في مهمة ما ، ولكنني متأكد أنه كان في "مارلو" .

فقال "هاري" :

– الأمر واضح إذن .. لقد اختاروا "فيللا الطاحونة" مكانا للمقابلة لأن "باجيت" يستطيع أن يتردد عليها في أي وقت دون أن يثير وجوده الشبهات .

وأردف "هاري" وفي صوته نبرة من اليأس :

– وهكذا آلت جهودي كلها إلى الفشل .. لقد كنت أسعى إلى الاستيلاء على الماساتي التي سرقت مني ، ولكن الوحيد الذين للذين يعرفان مكانها قضيا نحبهما ذكارتون" صعقته القضبان المكهربة ، و"نادينا" خنقت في "فيللا الطاحونة" .

- 25 -

حين فرغ "هاري" من قصته قلت له :

– والآن أظن أنه يحسن بك أن تصغي إلى روايتي .

ورويت له جميع الأحداث التي سبق أن عرفها القارئ حتى الآن . وكان الذي أدهشه أن يعرف أن الماسات التي كان يلهث وراءها كانت في حوزتي ، أو بعبارة أدق في حوزة "سوزان" .

وبدا عند هذا أن من الهين تبرئة "هاري" من التهمة الخاصة بسرقة الماس ، ولكن الشيء الذي بدا مستحيلا هو تبرئته من تهمة قتل الراقصة "نادينا" .

ومن جديد عاد السؤال يتردد بيننا : من هو "الكولونيل" ؟ أيمن أن يكون "جاي باجيت" ..؟

وقال "هاري" :

– كان يمكن أن أقطع بان "باجيت" هو الكولونيل لولا شيء واحد .. إن الذي يبدو مؤكدا حتى الآن هو أن "باجيت" هو الذي قتل "نادينا" في "فيللا الطاحونة" فإن إنذارها بالوشاية بالزعيم مشكلة لا يمكن أن يحلها إلا الزعيم

نفسه، فلا بد إذن أن يكون هو الذي تواعد معها على اللقاء في الفيلا ، ليناقد الأمر معها بنفسه ، وعندئذ قتلها . ولكن الشيء الذي يضعف من هذا الفرض هو محاولة اغتيالك في أول ليلة وصلت فيها إلى هذه البلاد .. إنك رأيت بنفسك "باجيت" يتخلف في "كيب تاون" ، فمن المستحيل ، إذن أن يصل هنا قبل الأربعاء القادم ، فكيف يمكن أن يوجد هنا وفي "كيب تاون" في وقت واحد .. ؟ كما أن من المستحيل أن يبعث خطابا إلى أحد أعوانه يأمره بقتلك لأن الخطاب لن يصل أيضا إلا يوم الأربعاء القادم .. بقيت وسيلة واحدة هي أن يبرق إلى مساعده، وواضح أنه لا يمكن أن يضمن البرقية أمرا بالقتل . ولهذا فإنني أستبعد أن يكون "باجيت" هو الكولونيل .

وسادنا الصمت برهة ثم قال "هاري" :

– إنك ذكرت لي أنك عند مغادرتك الفندق إلى الشلالات كانت "بليز" نائمة في غرفتها ، وكان السيد "أوستاس بيدلر" في جناحه يملئ بعض الخطابات على سكرتيرته الآنسة "بيتجرو" وهما يتبادلان الحديث . فأين كان الكولونيل "ريس" .. ؟ إنه لم يكن في غرفته .

– هل يعتقد أننا ، أنت وأنا ، على صلة طيبة .

– هذا ما أظنه ... ولكنني أستبعد أن يكون الكولونيل "ريس" هو زعيم المنظمة الإرهابية الملقب "بالكولونيل" ، فإنه من رجال المخابرات .

فضحك "هاري" في سخرية وقال :

– وأنى لك أن تعرفي هذا على وجه اليقين ... ؟ لعله هو نفسه الذي بذر بذور هذه الشائعة ليغطي بها تحركاته الملتوية وتنقله بين مختلف البلاد ، وكذلك ليذرا عن نفسه الشبهات إن خطر لاحد أنه "الكولونيل" .

واستطرد "هاري" :

– ولا تنسي أنه كان موجودا في "جنوب إفريقيا" عند وقوع حادث سرقة

الأماسات .

فتساءلت :

- إذن فما هو موقف "باجيت" ؟.. أهو من أعوان الكولونيل ؟..
- محتمل .. وغير محتمل .. هل حدثك "باجيت" بنفسه عن عينه المتورمة
وعن تلك الليلة التي حاول فيها أن يقتلك ؟
- كلا .. لقد كان السيد "أوستاس بيدلر" هو الذي روى لي هذه القصة ..
لقد قال لي إن "باجيت" رأى شيخ رجل في منتصف الليل يأتي من ناحية
مقصورة السيد "أوستاس" فتعقبه إلى سطح الباخرة ، فما كان من الشبح إلا
أن لكمه وطرحه أرضا ، و"باجيت" يعتقد أن من هاجمه هو
الكولونيل "ريس" .
فقال "هاري" :

- والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الرواية هو أن الكولونيل "ريس" هو الذي
حاول أن يلقي بك إلى البحر ، فلما فشل دار حول سطح الباخرة ، والتقى
بـ"باجيت" فصرعه أرضا ، ثم جاء إليك زاعماً أن "باجيت" هو الذي حاول أن
يقتلك .

فقلت معترضة :

- ولكن "باجيت" يؤكد أنك أنت الذي اعتديت عليه وليس الكولونيل
"ريس" .

- تعليل هذا الادعاء سهل .. لنفترض أنه عندما أفاق من إغمائه لخصني أسير في
أقصى الممشى ، فمن الطبيعي أن يقع في روعه أنني أنا الذي اعتديت عليه .
فقلت :

- هذا محتمل ... ولكن هناك أشياء أخرى تحتاج إلى تفسير .
- لعلك تعين أن الرجل الذي كان يتعقبك في "كيب تاون" خرج فجأة من
مشرب الشاي ووقف يتحدث إلى "باجيت" ، وأن "باجيت" تطلع في ساعته
قبل أن يتابع طريقه . واعتقدت عندئذ أن مطاردك تلقى أمرا من "باجيت"

بان يستدعي الشرطي ويتهمك بنشل حافظة نقوده . فلم لا يكون هذا اللقاء متعمدا لإلقاء الشبهات على " باجيت " ، وأن مطاردك لم يتلق منه أية تعليمات، وأن كل ما فعله هو أنه سأل " باجيت " عن الوقت؛ ولذلك تطلع في ساعته .

- إذن فأنت تعتقد أن " باجيت " بريء وأن هناك من يحاول أن يدمغه بالشبهات ..؟

- لا أستطيع أن أدلي بجواب قاطع إلا إذا عرفت أولا ما الذي كان يفعله في "مارلو" يوم مصرع الراقصة "نادينا" ، فإن قدم تفسيراً معقولاً فهو بريء من قتلها . نهض " هاري " واقفاً وهو يقول :

- والآن اذهبي إلى فراشك يا "آن" ، وغدا تستيقظين مبكرة لتشرعي في رحلة العودة إلى "إنجلترا" .

ولم يكن في نيتي قط أن أهرب من الميدان ، ولكنني لم أشأ أن أناقشه الأمر إذ ذاك .

وأيظني في الصباح قبل أن تشرق الشمس وقال :

- هيا استعدي .. سندع القارب البخاري حتى لا ينبه دوي محركه الناس ، وإنما سنستقل القارب الصغير فإنه ...

ولكنه أمسك عن إتمام عبارته وهمس :

- انصتي .. ما هذا ..؟

وأرهمنا السمع معا ... كان هناك صوت مجاديف تضرب الماء .

وخرجنا إلى باب الكوخ وحدقنا إلى الظلام ولحنا قارباً يدنو من الشاطئ ، فسحبني من ذراعي وهو يقول :

- فلنعد إلى الكوخ .. يبدو أن "أصحابنا" اكتشفوا مخبأك .

وأوصد باب الكوخ ونافذته ، وانتزع مسدساً وبندقتين من فوق الجدار ، وجاء بصندوق مليء بالرصاص ، وأراني كيف أحشو البندقية ، ووقف متربصاً عند

النافذة يرقب ما سوف يحدث .

وسمعنا خشخشة الأعشاب وأوراق الشجر ووقع أقدام تقترب . ورأيت الهولندي الملتحي على رأس جماعة من الرجال، ذلك الهولندي الذي انتحل صفة أمين المتحف ودعاني إلى زيارته ، ثم اعتقلني .

وصاح " هاري " من وراء النافذة :

- من هناك .. ؟ من القادم .. ؟

وكان الرد الذي تلقيناه سيلا من الطلقات النارية انصبت على نافذة الكوخ وجدرانه .

وصوب " هاري " بندقيته ، وأحكم الهدف ، ثم أطلق النار ، وطاشت الرصاصة الأولى ، ولكننا سمعنا صرخة مدوية عقب الرصاصة الثانية . وتوالى تبادل الطلقات ، وكلما فرغت بندقيته ناولته البندقية الثانية بعد أن أحشوها . وسمعنا صرخة ثانية ، ثم كف أعداؤنا عن إطلاق النار .

واختلس " هاري " نظرة من النافذة وقال :

- إنهم ينسحبون ... ولكنني أعرف أنهم سيعودون وفي هذه المرة سيعودون في جمع كبير يحاصر الكوخ من جميع الجهات ، فعلينا أن نبادر بالهرب قبل أن يعودوا .

وأخذ " هاري " من أحد الأركان صفيحة ملأى بالبتترول ، وصبها في أنحاء الكوخ وفوق سطحه .

وما كدنا نبتعد حتى رأينا جمعا كبيرا يقترب من الكوخ ، وهم يطلقون النار ، وفي اللحظة نفسها اندلعت النيران في الكوخ بسبب الطلقات النارية التي أشعلت البتترول وأخذنا نجري بكل قوتنا هاربين .

ولحت وأنا ألتفت إلى الورااء شبح شخصين فوق سطح الكوخ وقد أمسكت النار بثيابهما .

وأمسكت بذراع " هاري " وقلت له في ذعر :

- انظر ..! فوق سطح الكوخ شخصان يحترقان .
فضحك قائلاً :

- لا عليك من هذا ... اطمئني .. إنها مجرد ثياب حشوتها بالوسائد والخرق
البالية وجعلتها على شكل الإنسان حتى يعتقد أعداؤنا أننا احترقنا مع الكوخ
فيكفوا عن مطاردتنا .



كانت الرحلة شاقة مرهقة ، ونحن نضرب في الأحراش والمستنقعات ، ونغوص
في الطين والأوحال ، وإذا ما أدركني التعب حملني " هاري " على كتفه كأنني
طفلة صغيرة ، حتى انتهينا إلى صديقه " نيدفي ليفنجستون " ، وقد طلع نور
الصباح وغمر الأرض بضياءه .

وقدم إلينا " نيد " طعاما شهيا وأقداح القهوة الساخنة ، ثم أوفده " هاري "
يستفسر عن جماعة السيد " أوستاس بيدلر " ، وهل مازالوا في الفندق أم رحلوا
عنه ، وحذره من أن يشير إلى اسمي بكلمة واحدة .

وعندئذ صارحت " هاري " بما في نفسي ، وإنني لا أنوي أن أعود إلى " إنجلترا " ،
وبعد نقاش ولجاج وافق على أن أبقى مختبئة في بيت صديقه فترة وجيزة بعد
رحيله ، ثم ألحق بصديقتي " سوزان " حيثما تكون ، وأبقى في صحبتها في انتظار
تعليماته ، وأن نبادر بإيداع الألباس في إحدى خزائن البنك .
وقال لي :

- والآن فلنتفق على شفرة سرية نوقع بها رسائلنا حتى لا يدس علينا أحد خطابا
مزورا ويستدرجنا إلى كمين . فأي خطاب أكتبه إليك أو تكتبينه إليّ يجب أن
يتضمن حرف " واو " مشطوبا ، أي أن علينا أن نكتب حرف " الواو " في أي موضع
من الخطاب ثم نشطبه . وهذا معناه أن الخطاب سليم غير مدسوس علينا وأنه
صادر منك أو مني . أما البرقيات فنوقعها باسم " أفدي " .

فقلت :

- فإذا جاءني أو جاءتك غير مذيلة بهذا التوقيع كانت مزورة .
وعندما آذن موعد القطار بالرحيل ضمنني " هاري " إلى صدره وطبع على شفتي
قبلة وحشية وقال :

- اعلمي أنك إن تزوجت غيري يا "آن" فلن أتردد في أن أقتله . وسيكون
اتهامي بالقتل في هذه المرة صحيحا غير ملفق .

- 26 -

(نقلا عن مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

إنني رجل محب للسلام والهدوء ، ومع ذلك فقد كنت دائما أجد نفسي -على
كره مني - في غمار المشاكل والاضطرابات .
فأولا لدي سكرتيري " باجيت " الذي تدل تصرفاته على الغموض وتشير
الشكوك .

وفي أول ليلة وصلنا فيها إلى مدينة الشلالات فوجئت بعد منتصف الليل
بالسيدة " بلير " تفتح غرفتي وهي تصرخ في وجهي :

- أين "آن بيدنجفيلد" ؟

وأكدت لها أنني لم ألتهمها بعد العشاء ، وإن تمنيت أن أفعل ذلك ، فإنها في
الواقع ليست مخلوقا بشريا وإنما هي قطعة لذيذة من الحلوى . ثم أردفت :

- المفترض أنها الآن راقدة في فراشها .

فقلت :

- هذا هو المفترض ، ولكنها ليست في مخدعها ، وفراشها لم يمس .

- هل سألت عنها الكولونيل "ريس" ..؟

- إنه هو الآخر غير موجود في غرفته .

- إذن فالأمر واضح .. لقد خرجا يتمشيان معا .. ألم تلاحظي أنه يميل إليها؟

ولكن الكولونيل "ريس" دخل علينا في هذه اللحظة ، وأكد لنا أنه لم ير "آن بيدنجفيلد" منذ ساعة العشاء .

وأثرنا ضجة في الفندق ، ومضينا نستفسر عن الفتاة وتحركاتها وعرفنا من الخدم أنها غادرت الفندق وحدها عند منتصف الليل وهي مرتدية ثيابها كاملة ، واتخذت طريق الشلالات . وعلى ضوء المشاعل خرجنا نبحث عنها ، ولكننا لم نهتد إلى شيء ، فأرجأنا البحث إلى الصباح .

واهتدينا بالفعل إلى أثر حذائها بالقرب من الفندق ، فقد استعنا بنفر من قصاصي الأثر .. واستطاعوا أن يتتبعوا خطواتها إلى نهاية الجسر المفضي إلى الشلالات ، ثم انظمست معالم حذائها وسط عشرات من آثار الأحذية إذ زار المنطقة في الصباح الباكر بعض السائحين فاختلطت الآثار بعضها ببعض وقلت :

- ليس هناك إلا تفسير واحد .. إنها فتاة خيالية تعيش في الأحلام ، ولعلها أرادت أن تشاهد الشلالات في الليل ، فأخطأت الطريق لشدة الظلام وسقطت في الهاوية ، وجرفها تيار الشلالات .

كانت ملاحظة بريئة ومنطقية ، ولكن شفتي ما كادتا تنفرجان عنها حتى أخذت السيدة "بليس" تولول وتنوح ، في حين اكفهر وجه الكولونيل "ريس" وعلاه الوجوم .

وبالأمس سرت شائعة بأن هناك جزيرة منعزلة وسط النهر على مسافة قريبة من المدينة ، وأن في هذه الجزيرة رجلا وفتاة يعيشان معا . وقيل إن الرجل كان يعيش في هذه الجزيرة منذ أعوام ، وأن لديه قاربا يؤجره للسائحين ليطوف بهم ضفاف النهر . أما الفتاة فلم يسمع أحد بوجودها إلا في الأيام الأخيرة . فهل تكون هذه الفتاة يا ترى هي "آن بيدنجفيلد" ، وأنها وقعت في غرام هذا الرجل فذهبت لتعيش معه ... إذا كان الأمر كذلك فلا شك في أن "ريس" سيبذل قصارى جهده للتحري والاستفسار ونار الغيرة تتأجج في صدره .

وأخيرا قررت أن أسافر إلى "جوهانسبرج" ، وكان "ريس" لا يفتأ يحثني على

ذلك . وبلغني أن الحال سيئة هناك ، وأن الاضطرابات قد بدأت ، فلما تناهت هذه الأنباء إلى السيدة "بلير" عدلت عن السفر وقررت أن تبقى في مدينة الشلالات ، وجاءت ترجوني أن أحمل معي تذكاراتها ، ولكنني ترددت فاتفقنا أخيرا أن آخذ معي صندوقين صغيرين ، أما الدمى الخشبية التي اشترتها من مختلف المحطات فتشحن في صناديق كبيرة ترسل إلى "كيب تاون" بطريق السكة الحديد حيث يتولى "باجيت" إيداعها في أحد المخازن ريثما تخين ساعة العودة إلى "إنجلترا" . وهكذا سافرت إلى "جوهانسبرج" تصحبني سكرتيرتي الأنسة "بيتجرو" بوجهها الدميم الذي لا يطاق .

- 27 -

حل اليوم السادس من شهر آذار (مارس) وتراءت في الجو نذر الثورة ، وبدأت "جوهانسبرج" تغلي فوق بركان ، وأقسم العمال أن يضربوا عن العمل ، وأنهم لن يعودوا إلى مصانعهم إلا إذا خضع أرباب العمل لشروطهم . وكانت المدينة على حال سيئة من الفوضى ، فدوي الرصاص يُسمع ، والطعام شحيح في الفنادق . وفي الصباح زارني أحد مديري الشرطة ، وأخذ يحدثني عن مكانتي الاجتماعية ، وأن الحكومة حريصة على سلامتي ، ولذلك فهو يطالبني بالسفر فوراً إلى "بريتوريا" حتى أكون بمنجاة من المظاهرات ومن الطلقات النارية التي تطير في الهواء وأوضحت له في عناد أنني لن أسافر إلى "بريتوريا" ، وأني جئت إلى هذه البلاد لأدرس أحوالها الاقتصادية وأجري تحقيقاً في أسباب الإضراب .

وطال بنا النقاش ، ولم يكن في وسعه أن يرغمني على السفر إلى "بريتوريا" ، فاضطر أخيراً إلى الرضوخ لرأيي ، وسلمني تصريحاً يخول لي الحق في دخول المدينة .

وما كاد مدير الشرطة ينصرف حتى جاءني برفية من "كمبرلي" مذيلة باسم السيدة "بلير" ، هذا نصها :

"آن بيدنجفيلد" بخير .. إنها معي الآن في "كمبرلي".

وأدهشتني هذه البرقية إذ كنت أعتقد أن هذه الفتاة وقعت في الشلالات وجرفتها المياه .

الحق أنها فتاة عجيبة ..! كم من مرة استهدفت للخطر وللموت ، ثم إذا بها تبعث من جديد ، كأنما لم يصبها شيء .

وتناولت قبعتي ، وخرجت أطوف بالمدينة لأشتري بعض التذكارات ، وبينما أنا واقف أمام أحد متاجر التحف أدير عيني فيما هو معروض في واجهته ، إذا برجل يخرج فجأة من المتجر ويكاد يصطدم بي . ولشدة دهشتي كان هذا الرجل هو الكولونيل "ريس" .

وقلت له :

– لم تكن لدي أية فكرة عن وجودك في "جوهانسبرج" .. متى وصلت إلى هذه المدينة ..؟

فاجاب في اقتضاب وخشونة :

– مساء أمس .

– وأين تقيم ..؟

وباللهجة نفسها الجافة المقتضية اجاب :

– مع بعض الأصدقاء .

وبدا عليه في وضوح أنه ضاق بأسئلتي .

وقلت له :

– أرجو أن تكون لديهم مزرعة للدجاج ، فقد بلغني أن الطعام شحيح في هذه المدينة .

وتمشينا معا ، فلما بلغنا فندي قلنا له :

– بالمناسبة .. هل بلغك يا ترى أن الآنسة "آن بيدنجفيلد" على قيد الحياة .

فاوما برأسه إيجابا دون أن يتكلم ، فقلت مستطردا :

– لقد أثارت هذه الفتاة رعبنا ، ولكن أين كانت بحق السماء .. ؟ هذا ما أود أن أعرفه .

فأجابني "ريس" :

– كانت تعيش في إحدى الجزر في نهر "زيمبزي" .

– أعله ذلك الصديق الذي قالت إنه كان ينتظرها في "ديريان" .. ؟

فأجاب :

– لا .. إنه شخص آخر .. إنه ذلك الرجل الذي نتمنى جميعاً أن نقبض عليه .

فقاطعني بقوله :

– نعم .. "هاري رايسورن" بعينه ، أو "هاري لوكاس" ، فهذا هو اسمه الحقيقي .. لقد استطاع أن يفلت مرة بعد مرة ، ولكن الحلقة الآن تضيق حوله ، ولن يلبث أن يقع في قبضة الشرطة .

فتساءلت :

– والفتاة .. ؟ "آن بيدنجفيلد" .. ؟ أهي شريكة له .. ؟

فأجاب :

– لا .. كل ما هنالك أن ما بينهما لا يعدو أن يكون علاقة غرامية .

ثم أردف يقول :

– لقد سافرت إلى "بييرا" .

فحملت إلى وجهه دهشاً وقلت :

– حقاً .. وكيف عرفت .. ؟

فأجاب :

– لقد بعثت إلي بخطاب من "بولوايو" ذكرت فيه أنها راجعة إلى "إنجلترا" ..

فقلت :

– أما أنا فأعلم عن يقين أنها ليست في "بييرا" :

فقال الكولونيل "ريس" في إصرار :

– عندما كتبت إليّ كانت توشك أن تسافر إلى "بييرا" وبدا الأمر عجيبا ..
إما أن تكون السيدة "بليير" كاذبة ، وإما أن تكون "آن بيدنجفيلد" هي
الكاذبة .

وقلت له وأنا أطلعه على البرقية التي جاءتني من السيدة "بليير" :

– إذن ما رأيك في هذه البرقية ؟..

وألقى نظرة سريعة إلى البرقية ، ثم غمغم :

– "كمبرلي" ؟.. هذا عجيب .. ما الذي تفعلانه هناك في "كمبرلي" ؟..

ثم استأذن في الانصراف متعجلا ، وعلى وجهه سمات التفكير والشروود .



ما كاد الكولونيل "ريس" ينصرف حتى جاء مدير الشرطة مرة أخرى لزيارتي .

قال :

– يؤسفني يا سيد "أوستاس" أن أزعجك مرة أخرى ، ولكنني جئت لأمر يتعلق

بسكربتيرتك .

فقلت ضاحكا :

– ما شأنها .. ؟ هل أهانها أحدهم فوصفها بالجمال .. ؟

فقال :

– لقد شوهدت تغادر متجر التحف الذي يملكه "أجراساتو" .

فقلت :

– وأي شيء في هذا ؟ لقد هممت أنا نفسي بدخول هذا المتجر اليوم ، فهل

كنت تنوي أن تقبض عليّ إن رأيتني خارجا منه .

فقال :

– لقد شوهدت سكربتيرتك تتردد على هذا المتجر أكثر من مرة ، وتغيب في

داخله طويلا .

ثم أردف هامسا :

– إن لدينا يا سيد "أوستاس" معلومات سرية مؤكدة بأن هذا المتجر هو مقر المنظمة السرية التي تدعو إلى الثورة وإسقاط الحكومة ، ولعل سكرتيرتك عضو في هذه الجماعة ، فكيف التحقت بالعمل لديك ؟..

فأجبتة في برود :

– إن حكومتك هي التي رشحتها للعمل لدي .
وحين سمع جوابي كاد يسقط مغشيا عليه .

- 28 -

("آن بيدنجفيلد" تكمل سرد قصتها)

ما إن حللت بـ "كمبرلي" حتى أبرقت إلى "سوزان" بوصولي ، فهرعت إليّ من فورها دون أن تترث ساعة واحدة ، وما إن رأنتني حتى ارتمت على صدري ، وراحت تغمرنى بالقبلات ، وعبراتها تنهمر على وجنتيها .

ولما تمالكنا جأشنا ، طلبت إليّ أن أسرد عليها تفاصيل الأحداث التي مرت بي .

ولما فرغت من قصتي قالت لي :

– إذن فقد وقعت في حب هذا الرجل البدائي المتوحش الذي يعتزل الناس في جزيرة نائية ؟.. لقد كنت معجبة بالكولونيل "ريس" وأعرف أنه يميل إليك ، ولكم تمنّيت أن تتخذه زوجا لك .

وساد الصمت بيننا برهة ، ثم قالت "سوزان" :

– اسمعي يا "آن" ... عندما بدأت أشك في الكولونيل "ريس" وأن من المحتمل أن يكون هو "الكولونيل" الغامض أقلقني أمر الالماسات ، وخشيت أن يفطن بطريقة ما إلى أنها موجودة معي فيسلبها مني . وقد حرت في الأمر ولم أدر أين أخفيها . ثم خطرت لي فكرة .

ثم مالت فوق أذني وهمست تحدثني عما فعلته بالأماسات وأين أخفتها ، فقلت مؤمنة :

– لقد أحسنت صنعا .. ولكن ما الذي فعله السيد "أوستاس بيدلر" بالصناديق..؟

فقلت "سوزان" :

– كلا .. لقد أمر بالصناديق الكبيرة أن تشحن إلى "كيب تاون" ، وقد أخبرني "باجيت" قبل أن أغادر مدينة الشلالات أن الصناديق أودعت أحد المستودعات العامة ، كما علمت منه أنه سيسافر اليوم إلى "جوهانسبرج" لكي يلحق بالسيد "أوستاس" .

وسألتها :

– والصناديق الصغيرة ..؟ أين هي ؟

– أعتقد أنها مع السيد "أوستاس" وأنه ضمها إلى متاعه .
وعدت أسألها :

– إذن فـ"باجيت" سيسافر اليوم إلى "جوهانسبرج" ..؟

– هذا هو ما أخبرني به .

– حسنا .. لا بد لي من مقابله على رصيف المحطة عند مرور قطاره بها .

– وما الذي تبغين منه ..؟

– أريد أن أوجه إليه سؤالاً .

– يا إلهي .. لا بد أنه سؤال خطير ..؟

– بل هو أخطر سؤال مر بذهني .

وعلمت من مكتب الاستعلامات أن القطار سيمر بمدينة "كمبرلي" في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم التالي ، فيتوقف في محطتها عشر دقائق ثم يتابع مسيرته إلى "جوهانسبرج" .

ورقص قلبي طربا حين تلقيت في اليوم نفسه برقية من "هاري" يقول فيها :

(وصلت سالما .. كل شيء يسير على ما يرام .. "إيريك" هنا وكذلك "أوستاس"، أما "جاي" فلا .. ابق مع "سوزان" في الوقت الحاضر - "آندي".)

و"آندي" هو التوقيع الشفري الذي اتفقنا أن نوقع به برقياتنا حتى نتأكد أنها صحيحة غير مدسوسة علينا . أما "إيريك" فهو الاسم الرمزي الذي اتفقنا على استعماله بدلا من اسم الكولونيل "ريس" .
وقضيت ساعات الفراغ كلها أتبادل الحديث مع "سوزان" . إذ لم يكن لدي ما أفعله .

وبعد ظهر اليوم التالي وقد فرغنا من تناول الغداء سألتني "سوزان" :
- أتخبين أن أصحابك عند ذهابك لمقابلة "باجيت" .. ؟
فأجبته :

- لا ... إني أؤثر أن ألقاه وحدي فقد يتحرج من أن يفضي إلي بما في نفسه أمام شهود .

وقبيل موعد وصول القطار بدقائق كنت واقفة على رصيف المحطة أتلهف إلى اللقاء المرتقب ، والسؤال الذي سأوجهه إلى "باجيت" ، وهل سيجيب عنه أم يرفض الإجابة وما عسى يكون جوابه .. ؟

وجاء القطار يتهدى على مهل ، ونزل "باجيت" من المركبة ليتمشى قليلا على الرصيف ، وألفاني منتصبة أمامه وجها لوجه .

وحملت إلي دهشا وهتف في ذهول :

- الآنسة "بيدنجفيلد" .. ؟ لقد فهمت أنك اختفيت ..

فقلت في رزاة وهدوء :

- وهانذا قد عدت إلى الظهور مرة أخرى ... ولكن كيف حالك يا سيد "باجيت" .

- بخير ... شكرا لك .. هل تنوين العودة إلى خدمة السيد "أوستاس

بيدلر" ..؟

فقلت :

- لا ... لقد جئت إلى المحطة خصيصا لمقابلتك أنت .. إنني أريد أن أوجه إليك سؤالاً .. هو سؤال يسير ، ولكن تتوقف على الإجابة عنه نتائج خطيرة... إنني أريد أن أعرف ما الذي كنت تفعله في "مارلو" في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) أي يوم مصرع تلك المرأة الأجنبية في "قيللا الطاحونة" ..؟

وأجفل "باجيت" وارتعدت أوصاله .

- أهذا هو السؤال يا آنسة "بيدجفيلد" ..؟ الواقع أنني ..

فقاطعته حتى لا يغرقني بسيل من الأكاذيب :

- إنك كنت هناك .. في "مارلو" .. أليس كذلك ..؟

فأجاب :

- بلى .. كنت هناك .. لأسباب شخصية بحتة تتعلق بي وحدي .

- ألا يمكن أن تصارحني بهذه الأسباب ..؟

فسألني :

- ألم يذكر لك السيد "أوستاس" هذه الأسباب .

فقلت في دهشة :

- السيد "أوستاس" ؟ أتراه يعرفها ؟

فأجاب :

- بالتأكيد .. بكل تأكيد ... وإن تمنيت ألا يكون قد رأيي .. ولكنني كنت

أشعر دائما أنه لمخني وعرفني ، فقد كان دائما يغمزني في أحاديثه ويبيدي من

الملاحظات العابرة ما جعلني متأكدا من أنه يعرف . ومع ذلك فقد كنت أنوي أن

أصارحه بكل شيء ، ثم أقدم إليه استقالتي .

لم أكن في الواقع أدرك ما يتحدث عنه "باجيت" ، ولكنني تركته يسترسل لا

أقاطعته لعل لسانه يفلت بالرد الذي أتلهف إليه .

ومضى يقول :

- إنني أعرف أنني كنت مخطئا ، ولكن رجلا من طراز السيد "أوستاس" لا يمكن أن يقدر موقفني أو يصفح عني .

فقاطعته في كلمات سريعة إذ كنت أخشى أن يتحرك القطار قبل أن أنتزع منه ما

أريد :

- ولكنك لم تذكر لي بعد السبب في وجودك في "مارلو" في ذلك اليوم ..؟

وقال :

- عفوا يا آنسة "بيدنجفيلد" ... لقد أوشك القطار أن يتحرك .

وقفز إلى مركبته ، وبدأ القطار يتحرك ، وجريت بجانب النافذة وأنا أردد :

- ما سبب وجودك في "مارلو" في ذلك اليوم ..؟

وقال :

- إنني أشعر بالخجل

- أرجوك أن تتكلم إن الأمر مهم جدا .

وتكلم "باجيت" وعرفت السبب .

- 29 -

(من مذكرات السيد "أوستاس بيدلر")

في اليوم السابع من شهر آذار (مارس) وصل "باجيت" إلى "جوهانسبرج" ، وكان مذعورا لفرط خوفه من الأحداث الدامية التي تجري في هذه المدينة . وقد اقترح علي أن نبادر إلى السفر إلى "بريتوريا" تفاديا للأخطار ، ولما رددت عليه في حزم بأن نيتي قد استقرت على البقاء في "جوهانسبرج" ، وإنني لن أبرحها مهما ساءت الأحوال ، رد علي بأنه يتمنى لو كان معه مسدسه الذي يحتفظ به منذ انتهاء الحرب حتى يشهره دفاعا عني .

ولم أجد وسيلة للخلاص من ثرثرته إلا بأن أطلب منه أن يأتي بحقيبة الآلة الكاتبة ، وأن يشرع على الفور في نسخ مذكراتي بعد أن يذهب بها إلى أحد المكاتب لإصلاحها ، فقد تعودت كلما طلبت منه أن يكتب شيئا أن يرد علي بأن بالآلة الكاتبة خلا .

ولكنه أجبني على الفور :

- لقد أصلحتها وأنا في مدينة الشلالات ، فقد فتحت جميع الحقائق والصناديق ونسقت محتوياتها .

- يا إلهي !... إنك دائما تأتي تصرفات تنطوي على الحماسة .. ألا تعلم أن الصناديق الصغيرة خاصة بالسيدة "بليير" ..؟ فما شأنك حتى تعبت بحقائبها؟

فقال معتذرا :

- إني آسف .. آسف جدا .

ورأيت أن أتخلص منه في فترة الصباح فقلت :

- والآن اخرج وتريض قليلا وشاهد معالم المدينة فقد تندلع الثورة ، وبعدها ستجد المدينة خرابا .

وحين استدار بهم بالانصراف ناديته وقلت له :

- وبهذه المناسبة ... ما محتويات الصناديق الصغيرة الخاصة بالسيدة "بليير" ..؟

فأجاب :

- سجاجيد صغيرة من الفراء .

فقلت معقبا :

- لقد رأيتها تشتريها كلما توقف القطار في إحدى المحطات .. وماذا أيضا ..؟

- لفافات بعض الأفلام ومجموعة كبيرة من السلال الملونة المختلفة الأشكال ،

وقفازات قديمة .

فقلت :

- ولكن ألم يخطر لك فور أن فتحت أول صندوق أن مثل هذه الأشياء لا يمكن أن تخصني ؟

- لقد ظننت أنها تخص الآنسة "بيتجرو" .

فقلت :

- وبمناسبة ذكر الآنسة "بيتجرو" .. من أين جئني بهذه السكرتيرة المشبوهة...؟

وحدثته بما رواه لي عنها مدير الشرطة ، وكيف أنها شوهدت مرارا تتردد على محل للتحف يعتقد رجال الشرطة أنه مقر اجتماعات المنظمة السرية القائمة بالتحريض على الثورة . فرد "باجيت" بأنه لا يعرف عنها شيئا أكثر من أنه ذهب إلى الغرفة التجارية لبحث عن سكرتيرة مؤقتة لي قدموها إليه .

وبدأ "باجيت" بعد ذلك يروي لي شيئا حدث على الباخرة "قصر كيلموردن" بشأن لفافة أحد الأفلام . وكان في أثناء الحديث يضطرب ويتلعثم ويعيد ويكرر ما قاله حتى كدت لا أفهم شيئا .

وأخيرا وبعد جهد وبعد أسئلة كثيرة وجهتها إليه خرجت بالخلاصة الآتية ، وهي أن وصيفا بالباخرة قذف بلفة أفلام إلى أحد المقاصير من خلال أنبوية التكييف .

فقلت له :

- إنها قصة سخيفة لا تعنيني في شيء .

ولم أر "باجيت" إلا بعد موعد الغداء ، فقد جاءني مهرولا وفي وجهه أمارات الانفعال الشديد وقال لي إنه شاهد "رايبورن" في المدينة .

وهتفت به :

- ماذا تقول ..؟ هل أنت متأكد ..؟

فأجاب :

- نعم .. لقد لمحت على البعد شخصا يشبهه ، ولكنني متأكد أنه هو "رايبورن" بعينه .

فقلت :

- هذا عجيب .

واستطرد "باجيت" يقول :

- وهل تدري من الذي كان يتحدث إليه ..؟ إنها الآنسة "بيتجرو" ..!

- الآنسة "بيتجرو" ..؟ إني لا أصدق هذا .

- لقد رأيتهما بعيني رأسي يا سيد "أوستاس" يتبادلان الحديث .. وليس هذا فقط ، بل رأيتهما يدخلان معا محل التحف الواقع عند الناصية .

ورغما عني لم أتمالك إلا أن شهقت ، فتطلع إليّ "باجيت" في استغراب وسألني :

- ماذا حدث ..؟

فأجبت :

- لا شيء ..! لا شيء ..!

واستطرد "باجيت" :

- وقد انزويت في ركن من الشارع أترقب خروجهما من المتجر ، ولكنهما لم يخرججا ، فلم أتردد في دخول المحل ، ولكنهما لم يكونا موجودين به ، فلا بد أن للمتجر بابا آخر لا أعرفه .

وسكت "باجيت" هنيهة فقلت أستحثة :

- وماذا أيضا ..؟ هناك شيء آخر ..؟

- حين عدت إلى الفندق رأيت أن أقوم ببعض التحريات عن الآنسة "بيتجرو" .

ثم خفض صوته كما هو شأنه كلما أراد أن يفضي بسر من الأسرار :

– نعم .. قمت ببعض التحريات فعلمت أن رجلا شوهد وهو يغادر غرفتها ليلا .

فغمغمت :

– هذا غير معقول يا "باجيت" ، فما من رجل يطيق أن ينظر لحظة إلى وجهها الدميم .

واستطرد "باجيت" وعيناه تبرقان انتصارا :

– ولم أتردد لحظة واحدة .. صعدت إلى غرفتها وفتشتها .

– وهل وجدت شيئا مريباً ..؟

– نعم .. وجدت هذا .

ودس يده في جيبه ، ثم بسطها إليّ وفيها آلة حلاقة وصابون حلاقة . وقال :

– ما حاجة المرأة إلى مثل هذه الأشياء ..؟

فقلت ضاحكا :

– لعل لها شاربين خفيفين تضطر إلى أن تحلقهما .

– إنك تبدو غير مقتنع يا سيد "أوستاس" .. ؟ إذن فما رأيك في هذه ..؟

وكانت "هذه" باروكة من الشعر .

وسألته :

– وأين عثرت على هذه الباروكة ..؟

– في غرفة الأنسة "بيتجرو" .. فهل اقتنعت الآن أن سكرتيرتك رجل متخف

في زي النساء ..؟

– إذن فهذا هو السبب في ضخامة قدميها .. لقد لاحظت أن لها قدمين كبيرتين

لا تتناسب مع قوام المرأة .

وران علينا الصمت برهة ، ثم قال :

– والآن أريد يا سيد "أوستاس" أن أكاشفك بسر يتعلق بي شخصيا ... لقد

أدركت من غمزاتك وتلميحاتك بشأن رحلتي إلى "فلورنسا" أنك اكتشفت أنني

لم أسافر إلى "إيطاليا" في أثناء هذه العطلة .

وقلت له :

- إذن حدثني بكل شيء يا "باجيت" ، واكشف لي سرّك

وأردفت :

- هل ضايقتك زوجها ..؟ هل فاجأك وأنت في أحضانها .

فتطلع إلي "باجيت" في دهشة وقال :

- زوجها ..؟ إنني غير فاهم يا سيد "أوستاس" ..

- زوج السيدة التي اتخذتها عشيقه لك ، فإن الأزواج يحضرون أحيانا في وقت

غير مناسب .

- قلت لك يا سيد "أوستاس" إنني لم أسافر مطلقا إلى "فلورنسا" . إنني

أعتقد يا سيد "أوستاس" أنك رأيتني وعرفتني ، وهذا هو السبب في تلميحاتك

وغمزاتك عن رحلة "فلورنسا" .

فقلت في استغراب ودهشة :

- رأيتك ، وعرفتك ؟ ولكن بحق السماء أين رأيتك ؟

- لقد ذهبت إلى "مارلو" .

- "مارلو" ..؟ وبحق السماء ما الذي دعاك إلى السفر إلى "مارلو" ..؟

- لأجل زوجتي وأولادي .

- زوجتك وأولادك ..؟ لقد كنت أعرف دائما أنك غير متزوج .

- هذه هي أكوذوبتي يا سيد "أوستاس" ... وإنني أعتذر عنها . ولكن كان لابد

أن أكذب .

- منذ متى وأنت متزوج ..؟

- منذ ثمانية أعوام .

- ولكن لماذا كذبت عليّ ..؟

- إنك أعلنت يا سيد "أوستاس" عن حاجتك إلى سكرتير مقيم يشترط فيه

ألا يكون متزوجا . وقدمت إليك ، وكنت عندئذ غير متزوج ، وألحقتني بالعمل لديك ، لكنني ما كدت أستقر في حياتي حتى بادرت إلى الزواج ، وخشيت أن أطلعك على ذلك فتفصلني من العمل ، فكتمت عنك أمر زواجي .

– يا إلهي ..! إذن فمنذ ثمانية أعوام وأنت تستغفلني ..! وكم ولد لديك ...؟

– أربعة يا سيد "أوستاس" وقد قابلت الآنسة "بيدنجفيلد" في أثناء قدومي إلى هنا، وسألتنني عن سبب وجودي في "مارلو" .

– وهل رويت هذه الحكاية لأحد غيري ؟

– الآنسة "بيدنجفيلد" فقط فقد قابلتني في المحطة في "كمبرلي" .
وبعد سكتة قصيرة قال "باجيت" :

– لاشك أنك غاضب عليّ يا سيد "أوستاس" إذ كذبت عليك . ولا سبيل أمامي للتكفير عن أذوبتي إلا بأن أقدم إليك استقالتي .
فقلت :

– لا داعي لأن تكفر ، ولا داعي لأن تستقيل .

بعد أن انصرف "باجيت" تملكنتني رغبة قوية في أن أتجول قليلا في المدينة .

ومررت بمحل التحف ، ودلفت إليه .

وهرول إليّ صاحبه وعرض عليّ بعض ما لديه ، فقلت له :

– إنني لا أريد شيئا من هذه التحف العادية التافهة ، وإنما أريد تحفة أصلية تحفة لا مثيل لها .

فقال :

– إن لدينا بالفعل تحفا أصلية ولكننا لا نعرضها إلا على الإخفاء من عملائنا ...

هل ... هل لك أن تفضل بالدخول إلى الغرفة الخلفية من المتجر ..؟ وفتح بابا في أحد الأركان ، ومشيت بعقبه إلى الداخل .



- 30 -

("آن بيدنجفيلد" تروي بقية قصتها)

أطلعت "سوزان" على الخطاب الذي وصلني وعرضت عليها خطتي . فقالت "لا" ولكنني قلت « بل نعم » .

ورجعتني "سوزان" ، ورفضت رجاءها ، ونبذت توسلاتها وأخذت تبكي وهي تتضرع إليّ ولكنني لم أحفل ببكائها .

– ولكنك أيتها الحمقاء ستعرضين نفسك للمقتل .

ولكنني ازددت عنادا وتشبثا . وألقيت إليها بتعليماتي . ووعدتني بأن تنفذها بكل دقة وقالت :

– أيتها الطفلة المجنونة ! في هذه المرة سيظفرون بك ويقتلونك .

ذهبت إلى الموعد المضروب في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي . طبقا لما ورد بالخطاب الذي وصلني ووجدت في انتظاري هولنديا قصير القامة له لحية سوداء مدبية، فدعاني إلى ركوب سيارة جاء بها معه . وانطلقت بنا السيارة في طريقها إلى مكان اللقاء .

وسمعت دوي طلقات نارية صادرة من بعيد فاستفسرت منه عن سببها ، فأجاب :

– إنها دوي البنادق ... لقد وقع شغب شديد في "جوهانسبرج" ، فإن الثورة أو شكت أن تندلع .

وتوقفت بنا السيارة في ضواحي المدينة أمام بيت في طريق جانبي منعزل، وفتح الباب، وقادني الهولندي إلى قاعة في صدر البهو، وقال يعلن قدومي :

– لقد جاءت الفتاة يا سيد "هاري رايبورن" .

ثم أطلق ضحكة تنطلق بالسخرية وانسحب متراجعا .

دخلت إلى الغرفة وأنا أعلم مسبقا أنني لن ألتقي بـ "هاري رايبورن" ، بل كنت

أعرف أنهم يستدرجونني إلى كمين منصوب، وكان هذا هو السبب في معارضة "سوزان" لذهابي إلى الموعد المضروب.

ونهض لاستقباله رجل كان يجلس إلى مكتب في أقصى الغرفة، وقال

مرحبا:

– مرحبا بك يا آنسة "آن بيدنجفيلد".

فرددت عليه قائلة في هدوء:

– عجبا..! يبدو أنني زائفة العينين. فلست أدري إن كان من أمامي هو القس

"شيستر" أم الآنسة "بيتجرو"..! إن هناك تشابها شديدا حتى لاراني عاجزة عن

التفريق بينكما.

فقال:

– لك أن تعتبري أننا شخص واحد.

وجلست وأنا أقول في تهكم:

– يبدو أنني أخطأت العنوان. فقد جئت لأقابل السيد "هاري رايبورن".

فضحك قائلا:

– "هاري رايبورن"..! لقد كنت أعتقد يا آنسة "بيدنجفيلد" أنك أذكى من

أن تنزلقي – في غياب – إلى مثل هذا الفخ المكشوف.

فقلت:

– صدقت... كان تصرفي دليلا على الغباء.

ويبدو أن شيئا في لهجتي أثار شكوكه إذ قال:

– كنت أتصور أن تتلقي هذه المفاجأة بطريقة مختلفة.

فقلت:

– أكنت تتوقع مني أن أصاب بنوبة هستيرية؟

وساد بيننا الصمت هنيهة ثم قال:

– والآن فلنتكلم في العمل.

فقلت :

– معذرة يا سيد " شيستر " .. لقد علمتني جدتي الا اناقش شئون العمل إلا مع الرئيس الأكبر دون أعوانه .

فصاح :

– ما هذا الهراء؟ ألا تدركين أنك الآن في قبضة يدي، وأني أستطيع بإيماءة أن أبطش بك؟

فهززت كتفي في استخفاف وقلت له :

– دعك من الوعيد والتهديد فإنه لا يخيفني ولا يهز من رأسي شعرة واحدة .. إن لم أقابل السيد "أوستاس بيدلر" نفسه فلن أتفوه بكلمة واحدة .

وبوغت " شيستر " عند سماعه هذا الاسم . ثم قال :

– لحظة واحدة ...

وانسحب من الغرفة ثم رجع بعد دقائق معدودات، وقال :

– تفضلي معي .. السيد "أوستاس" في انتظارك .

ومضى بي إلى الطابق الأعلى، ونقر على باب إحدى الغرف، ودعاني إلى الدخول .

وهب السيد "أوستاس بيدلر" يرحب بي وشد على يدي يصافحني بحرارة

وهو يقول :

– هلا تفضلت بالجلوس .. إني سعيد بلقائك يا آنسة "بيدنجفيلد" .

ثم جلس في مواجهتي، وتأملني بنظرة طويلة وقال :

– منذ متى وأنت تعرفين أنني "الكولونيل"؟

– منذ أن قال لي "باجيت" إنه رآك في "مارلو" يوم مصرع الراقصة الروسية في

حين أننا كنا جميعا نعتقد أنك في "كان" في "فرنسا" .

فهز السيد "أوستاس" رأسه وقال :

– لقد دبرت الخطة بذكاء وبراعة، ولكن سوء الحظ أراد أن يذهب "باجيت"

إلى "مارلو" في ذلك اليوم. فانكشف تدييري كله... لقد بعثت بـ"باجيت" إلى "فلورنسا"، وأخطرت فندقتي بأنني ذاهب إلى "نيس" لأقضى ليلة واحدة أو ليلتين على الأكثر، ثم تسللت إلى "مارلو" وقتلتها، وعدت على الفور إلى "كان" دون أن يخطر ببال أحد أنني غادرت "الريفيرا".
وقلت له :

– وأنت بالتأكيد الذي حاولت أن تقذف بي إلى البحر من فوق سياج الباخرة "كيلموردن" .. وكنت أنت ذلك الشبح الذي لمح "باجيت" يتجول ليلا متلصصا في ممشى الباخرة فتعقب خطواته.

فهز كتفيه وارتسمت على شفتيه ابتسامة وقال :

– إني آسف يا بنتي العزيزة .. إنني لا أنكر أنني شعرت بالميل إليك منذ أول لحظة التقينا فيها، ولكن كان لابد أن أضحك من طريقي؛ حتى لا تفسدي خطتي وتقضي على مشروعاتي.

وعقبت بقولي :

– الحق أنك بارع في تدبير الخطط يا سيد "أوستاس"، فقد كانت خطتك على غاية من الذكاء يوم أن حاولت أن تقتلني عند الشلالات .. لقد سمعتك وأنا أمر بباب غرفتك تملي خطابا على سكرتيرتك الأنسة "بيتجرو". أعني السيد "شيستر"؛ ولذلك كان في وسعي أن أقسم على أنك كنت في جناحك.

فضحك السيد "أوستاس" وقال في مرح :

– نعم .. كانت خدعة رائعة، فإنك لم تكوني تعرفين أن "شيستر" ممثل قدير يجيد تقليد الأصوات، فقد سبقتك إلى الشلالات أترقب قدومك، وتركت "شيستر" في جناحي يتكلم تارة مقلدا صوتي، وتارة أخرى مقلدا صوت الأنسة "بيتجرو" فجازت عليك الحيلة واعتقدت أنني في جناحي أتحدث إلى سكرتيرتي.
وسألته :

– ثمة سؤال يدور بخلدني... إن "باجيت" بريء ولا ضلع له في مؤامرتك ولا

شان له بها. فكيف جعلته يختار الأنسة "بيتجرو" بالذات سكرتيرة لك؟

– الأمر على غاية من السهولة... لقد أوفدته إلى الغرفة التجارية ليطلب إليهم أن ينتقوا سكرتيرة لي. وكان "شيستر" أعني الأنسة "بيتجرو" في انتظاره في بهو الغرفة التجارية، فلما رأته داخلا تقدمت منه وقالت له إنني اتصلت تليفونيا طالبا سكرتيرة مؤقتة. وإن رئيس الغرفة اختارها للقيام بهذه المهمة.. وبالتأكيد صدقها "باجيت" بما طبع عليه من سلامة النية، وعاد بها إليّ.

وقلت له في استغراب:

– الذي يدهشني يا سيد "أوستاس" أنك لا تتردد لحظة في الاعتراف بما فعلت فهلا تخشى أن أشي بك؟

فضحك قائلاً:

– ولم أخشاك وأنت في قبضة يدي؟

وسألته:

– سير "أوستاس" .. هل أنت واثق بنجاح الثورة وسقوط الحكومة الحالية؟

– كلا بالتأكيد.. لن تمضي إلا أيام معدودات ثم تقضي الحكومة القائمة على

الثورة وتخدمها. إن الجنرال "سمطس" رجل قوي.

– ولكنك المحرض على قيام هذه الثورة.

– لا يا بنتي.. إنني لست إلا رجل أعمال أبيع السلاح إلى الثوار وإلى الحكومة

في الوقت نفسه.

وفري كل ما لدي من أسئلة. وراي علينا السكوت برهة ثم عدت أقول:

– قلت إنك لا تخشى جانبي وإنني رهن إشارتك فماذا تعني يا سيد

"أوستاس"؟

وأجاب:

– لقد استدرجتك إلى عريني.. هذا أمر مفروغ منه، ولا سبيل لك إلى الفكك

من قبضتي، ولكن المشكلة التي تواجهني هي ما عساي أفعّل بك؟
إن من السهل جدا أن أقتلك وأتخلص منك . ولكنني أشعر بالميل إليك،
وبي ضعف من ناحيتك؛ ولذلك قررت أن أتزوجك . وأنت تعرفين بالتأكيد أن
القضاء لا يأخذ بشهادة الزوجة ضد زوجها، فمهما قلت فإن المحاكم لن تدينني
بأقوالك .

فقلت في سخرية:

- هذا إذا رضيت أن أتزوجك .

- بل ساكرهك على أن تقترني بي .

- إذن فأنت واهم .. يبدو أنك لا تعرفني حق المعرفة يا سيد "أوستاس" .

فهز رأسه في أسى وقال في مرارة:

- هذا شيء يؤسف له ... وإذن فلن يبقى لدي إلا الحل الثاني .

وارتعدت للنيرة الوحشية التي نبضت بها كلماته .

وقال:

- أهنأك في حياتك رجل آخر..؟

فأومات برأسي قائلة:

- نعم .. إنني أحب رجلا آخر .

- هذا ما كنت أتوقع .. لقد ظننت في البداية أنك وقعت في هوى

الكولونيل "ريس"، ولكني ما لبثت أن تبينت خطئي .. إنه بالتأكيد ذلك الرجل

الذي أنقذك عند سقوطك إلى هوة الشلالات .

وتراجع السيد "أوستاس" في مقعده . وقال وهو يتنهد:

- مما يؤسف له أنك لا تحبين أن تكوني السيدة "أوستاس بيدلر" .

وبعد سكتة قصيرة قال:

- والآن حدثينا يا فتاتي بقصتك كلها .. وأحب أن أنذرك: لا داعي للكذب .

وكنت أعرف هذا .. كنت أعرف أنه أذكى من أن أستطيع خداعه، وبدأت

أروي له القصة منذ بدايتها دون أن أكذب في حرف واحد . فلما فرغت منها قال :
- إنها لقصة عجيبة حقا .. قصاصة ورق تلتقطينها من عرض الطريق تدفع بك
إلى كل هذه المغامرات والأخطار؟ لو أن غيري مكاني لما صدق حرفا مما تقولين، أما
أنا فأؤمن بكل كلمة نطقت بها، فإن روح المغامرة والتحدي يطلان من عينيك .
ثم استطرده :

- إنك يا فتاتي ما نجوت من الموت إلا لأنك امرأة محظوظة، وإلا لما أفلت من
يدي ... إنني احترفت حياة المغامرة ولم أبلغ العشرين بعد، أما أنت فمجرد
هاوية . وعندما يواجه الهواة المحترفين فالغلبة دائما للمحترف لولا أن حالفك
الحظ .

وقاطعته بقولي :

- لقد رويت لك قصتي دون أكذوبة واحدة فما الذي تنوي أن تفعله بي
الآن .. ؟

فقال :

- المهم أن أعرف أولا أين الألباسات .

فقلت :

- إنها مع " هاري رايبورن " .

فارتسمت على وجهه ابتسامة مرحة ساخرة وقال :

- جميل جدا ... إنني أريد هذه الألباسات .. وفي الحال .

فأجبت :

- مستحيل .. إنك لن تجد وسيلة للحصول عليها .

- اسمعي يا فتاتي .. إن لدي في الطابق الأسفل رجلا ألف هذه المهام . وحسبه

إيماءة من أصبعي فيزهق أنفاسك .. ومع ذلك فالخيار لك : إما حياتك وإما

الألباسات، فاختراري ما تشائين ..

فقلت في شيء من التردد :

- و"هاري"؟.. ما عسى أن يكون من شأنه؟..

فلاححت على شفتيه ابتسامة لطيفة وقال:

- إنني رجل عطوف رقيق القلب وأكره أن أفرق بين عاشقين. فور أن أتسلم

الأماسات سأطلق سراحكما على شرط ألا تتدخلوا في شئوني مرة أخرى.

- وما الضمان على أنك ستفي بوعدك؟

- لا ضمان على الإطلاق يا طفلي العزيزة فيما عدا كلمتي.

وما من شك في أنني كنت أريد منه أن يعرض عليّ مثل هذا الاقتراح، فهو

الشيء الوحيد الذي يتفق مع الخطة التي وضعتها قبل حضوري إلى لقائه، ولكنني

أبدت شيئاً من التمتع والمعارضة حتى لا أثير شكوكه.

وأخيراً قبلت اقتراحه. متظاهرة بأنني أذعنت له وعلى كره مني.

وقال:

- والآن خذي ورقة وقلم، واكتبي إلى حبيبك "هاري رايبورن" الرسالة التي

سأملها عليك.

وتناولت القلم، للكتابة فقال:

- اكتبي ما سأمليه عليك، وإياك أن تزيدني كلمة واحدة.

وبدأ يملي علي ما نصه:

حبيبي "هاري":

أعتقد أنني اهتديت إلى الوسيلة التي يمكن بها إثبات براءتك من تهمة سرقة

أماسات "كمبرلي" وتطهير اسمك. فأرجوك أن تتبع هذه التعليمات بكل دقة:

أذهب إلى محل التحف المملوك لـ "أجراساتو" واطلب إليه أن يريك تحفا أصلية

ممتازة. وسيجيبك أن لديه مثل هذه التحف وسيدعوك إلى دخول الغرفة الخلفية من

متجره. فاصحبه إليها، وستجد هناك في انتظارك رسولا من قبلي سيأتي بك إليّ..

لا تنس أن تحضر الأماسات معك، وإياك أن تفضي إلى أحد بشيء عن خطابي هذا

إليك.

وكف السيد "أوستاس" عن الإملاء وقال:
- والآن ذيلي الخطاب بتوقيعك. ولك أن تتخيرني إن شئت أشد الكلمات
تعبيرا عن حبك.

وتناولت القلم وكتبت:

« حبيبتك المخلصة الوفية - "آن بيدنجفيلد" .

وتناول السيد "أوستاس" الخطاب مني، وتلاه على مهل ثم قال:

- حسنا... إنه واف بالغرض تماما.. والآن اكتبني الاسم والعنوان على الظرف.

دق جرسا. وهرع "شيستر" إلى تلبية النداء وقال له:

- أريد أن يصل هذا الخطاب إلى صاحبه في الحال، وبالطريقة المعتادة.

ونظر "شيستر" إلى الاسم المكتوب على الظرف وامتقع وجهه، وكان السيد

"أوستاس" يرقبه خفية. وقال له:

- أهو صديق لك يا "شيستر"؟

وأجفل "شيستر" وأجاب:

- صديق لي..؟ لا...إني لا أعرفه.

فابتسم السيد "أوستاس" ابتسامة لطيفة وقال:

- هذا عجيب، فإنك تحدث إليه بالأمس في "جوهانسبرج" حديثا طويلا.

فازدرد ريقه وقال:

- لا أدري إن كان هو أم لا.. لقد أقبل علي رجل لا أعرفه وطلب إلي بعض

المعلومات عنك وعن الكولونيل "ريس"، وبطبيعة الحال قدمت إليه معلومات

مضللة.

- بديع...! بديع جدا...!

وتطلعت إلى وجه "شيستر" وهو يغادر الغرفة ورأيته ممتقعا شديد الشحوب؛

لفرط فزعه ورعبه.

وما كاد يوصد الباب وراه حتى قال السيد "أوستاس": "إن "شيستر" خانني،

واتفق مع أعدائي .

ثم رفع سماعة التليفون الداخلي وتكلم فيها قائلاً :

- "شوارت" .. راقب "شيستر" جيداً، وإياك أن يغادر البيت لأي سبب كان

دون أمر مني .

وحين أعاد السماعة مكانها قلت له :

- السيد "أوستاس" .. هل تسمح لي بأن أوجه إليك سؤالاً ..؟

- سلي ما بدالك، ولن أضن عليك بالجواب .

- إنك تعرف "هاري رايبورن" حق المعرفة، فلماذا ألحقته بخدمتك سكرتيرياً

لك ولم تسلمه إلى الشرطة؟

- لأنني كنت أريد هذه الألباس اللعينة .. كانت "نادينا" تستغل "هاري"

في تهديدي، فقد أنذرتني بأنها ستسلمه الألباس إن لم أنقدها ثمناً طيباً،

فدعوتها إلى "فيللا الطاحونة" وقتلتها لأستولي على الألباس ظناً مني أنها

كانت تحملها معها، ولكنها كانت أذكى مني وأدهى . وكان زوجها "كارتون"

قد مات أيضاً مصعوقاً بالقضبان المكهربة، ولم يكن لدي أي أثر يرشدني إلى

مخبأ الألباس . ثم علمت أن برقية أرسلت إلى "نادينا" من الباخرة

"كيلموردن" ، وإن كنت لم أعلم إن كان صاحبها هو "كارتون" أم "رايبورن" ،

واستطعت أن أحصل على صورة هذه البرقية، فإذا بها صورة طبق الأصل من

القصاصمة التي وقعت من الطبيب في النفق والتقطتها أنت؛ إذ لم يكن مدونا

بها إلا هذه الكلمات : 1.22.17، فاعتقدت أن هذا التاريخ موعد مضروب

لمقابلة "رايبورن" . فلما جاءني يزعم أنه موفد إليّ من وزارة الخارجية ليصحبني

في رحلتي إلى "جنوب إفريقيا" بصفته سكرتيراً لي أدركت على الفور أنه

كاذب وأن الوزارة لم توفده إليّ، ولكنني حين رأيت لهفته إلى السفر أيقنت أنه

ذاهب إلى الموعد المحدد في البرقية فاصطحبته معي ليكون تحت رقابتي، حتى

إذا وقعت الألباس في يده انتزعتها منه بوسائلها الخاصة .

– والكولونيل "ريس" ..؟ ماذا كان شأنه في هذه الأحداث؟
– إنني أعرفه من قبل وأعرف أنه من رجال المخابرات . وحين وقعت سرقة
الأماسات في "كمبرلي" كان موجودا هناك .. وفي أثناء الحرب كان يحوم حول
"نادينا" ويراقب تحركاتها، إذ كانت تعمل جاسوسة تحت إشرافي، ولكنه فشل في
الإيقاع بها .

واستطرد السيد "أوستاس" :

– فلما ظهر الكولونيل "ريس" في الباخرة استولى عليّ الخوف، وخطر لي أنه
جاء بعقبتي .. نعم .. إن الكولونيل "ريس" هو الشخص الوحيد الذي أخشاه .. إنه
رجل ذكي، وقوي الشكيمة وشديد العناد .

ورن جرس التليفون . فتناول السيد "أوستاس" السماعة، وسمعته يقول في البوق:
– حسنا .. سأقابلة بعد الحظاظ .

ثم التفت إليّ قائلاً وهو يعيد السماعة إلى مكانها :

– لقد جاءني زائر يا آنسة "بييدنجفيلد" فدعيني أرشدك إلى غرفتك .
ومضيت إلى غرفتي، وحمل إليّ أحد الخدم حقيبة ثيابي، وكانت بين الحقائق
التي طلبت "سوزان" إلى السيد "أوستاس" أن ينقلها مع أمتعته، كما جاءني
الخادم بإناء مملوء بالماء الساخن، وقال لي :

– لقد أمرني السيد "شيستر" أن أحمل إليك الماء فقد تحبين أن تغتسلي .

وبدأت أنهياً للاستحمام، وتناولت كيس الإسفنجة التي سأدلك بها جسدي،
ولمست يدي شيئا صلبا في قاع الكيس .

وما كان هذا الشيء الصلب إلا مسدسا صغيرا، وعجبت! من الذي دسه في
الكيس؟! أيكون "شيستر" هو الذي فعل ذلك لأنه أنضم إلى أعداء السيد
"أوستاس"؟

وفحصت المسدس فإذا به محشو بالرصاص .

وما إن ارتديت ثيابي حتى دسست المسدس في جوربي، فما يدريني أنني قد

أحتاج إليه؟

- 31 -

في الحادية عشرة قُدم إليّ الشاي . وفي موعد الغداء جيء إليّ بوجبة شهية من الطعام، وفي ساعة متأخرة من ظهيرة اليوم نفسه دعيت إلى مقابلة السيد "أوستاس بيدلر".

وتحول إليّ قائلاً:

— إن صديقك الشاب في طريقه إلينا الآن، ولن تمضي دقائق حتى يصل . وتطلع إليّ السيد "أوستاس" بنظرة فاحصة وقال:

— لقد حذرتك صباح اليوم من أن تكذبي عليّ وأنت تسردين عليّ قصتك، ولكنك حاولت أن تخدعيني في جزء من القصة .

ورفعت إليه وجهي مستفسرة عما يقصد، فاستطرد:

— إنك حاولت أن تقنعيني بأن الالماسات في حوزة "هاري رايبورن"، ولم أحاول أن أقول لك إنك كاذبة، وإنما سلمت بقولك لغرض في نفسي، فقد كنت أريد أن أستدرج "هاري" إلى الحضور إلى عريني هنا . ولكنني أحب أن أقول لك أيتها العزيزة إن الالماسات كانت في حوزتي منذ أن غادرت مدينة الشلالات، وإن لم أكتشف هذه الحقيقة إلا ليلة أمس .

فهمت:

— إذن فانت تعرف . . ؟

فقال باسمًا:

— ولعله يسرك أن تعلمي أن هذا الأبله "باجيت" هو الذي كشف لي هذه الحقيقة . . لقد حدثني بالأمس عن لفافة أفلام ألقيت إلى إحدى المقاصير من خلال أنبوبة التكييف، ولم يكن عسيرا عليّ بعد هذا أن أستنتج سر هذا الحادث . ولما كانت السيدة "بليير" ترتاب في الكولونيل "ريس" فقد عهدت إليّ ببضعة صناديق أودعتها شيئًا من متاعها وطلبت إليّ أن أضمها إلى متاعي، وأن أشحن بعضها إليّ

"كيب تاون" وأستبقي الصناديق الصغيرة معي .

وقد ظن "باجيت" أن الصناديق الصغيرة تخصني، فأفرغ محتوياتها لينسقتها، فلما أخبرني بذلك لمته على أن عبث بصناديق السيدة "بليز" . ولما سألته عما تضمه هذه الصناديق ذكر لي أن من بين محتوياتها مجموعة من الأفلام، فخطر لي أن من بينها ذلك الفيلم الذي قذف به إلى مقصورتها من أنبوبة التكييف، وقد استنتجت أن الألباس مخبوء فيه، فجئت بالأفلام وفحصتها، فوجدت أن لفافة منها أثقل من غيرها، فأدركت دون عناء أن هذه اللفافة هي مخبأ الألباس التي أسعى إليها، وما كدت أفضها حتى تناثرت منها الأحجار الكريمة .

وضحك السيد "أوستاس" وأردف يقول :

- مما يؤسف له يا عزيزتي أنك رفضت أن تكوني السيدة "أوستاس بيدلر" .. !
فالألباس الآن معي في حوزتي . وأنت وصاحبك "هاري رايبورن" في قبضة يدي .

وترامى إلى أذني وقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج، ثم فتح الباب دفعة واحدة، ودخل "هاري رايبورن" يحف به رجلان من أعوان السيد "أوستاس" .

ولاحت على شفتي السيد "أوستاس" ابتسامة انتصار وقال :

- كانت خطتي رائعة .. ! إن الهواة لا يملكون شيئاً حيال المحترفين .. ! إن الغلبة دائماً للمحترف .

وقال "هاري رايبورن" في جفوة وخشونة :

- بحق السماء ما معنى هذا كله ؟

وأجابه السيد "أوستاس" في دماثة ورقة :

- معناه يا عزيزي "رايبورن" أنك جئت بنفسك إلى عرين الأسد طائعا مختاراً

تسعى على قدميك .

فألقي "رايبورن" بنظرة غاضبة إلى ناحيتي وقال :

- ولكنك قلت يا "آن" إنني أستطيع أن أحضر في أمان.
فرد عليه السيد "أوستاس" بقوله:

- لا تنح عليها باللائمة يا صديقي العزيز، فأنا الذي أملتيتها الرسالة التي بعثت بها إليك، وكانت في موقف لا يسمح لها بأن تعصي أوامري.
ولكن يجب أن أعترف لك بأنها لم تكن متواطئة معي، بل كانت مخدوعة في وقد نفذت أنت تعليماتها بكل دقة. ذهبت إلى متجر التحف، وما إن دخلت إلى الغرفة الخلفية حتى ألفت نفسك في قبضة أعدائك.
ونظر إليّ "هاري" خلسة وغمز بعينه غمزة خفيفة، وأدركت مغزى نظرتة ومرماها، واقتربت من السيد "أوستاس" حتى صرت على قيد خطوة واحدة منه.

وقال السيد "أوستاس" في نبرة فوز وانتصار:
- ما أسوأ حظك يا "هاري رايبورن"!! لقد سبق أن أفلت من يدي، أما في هذه المرة فلا مهرب لك.

وأجابه "هاري" في سخرية واستخفاف:

- أتظن ذلك؟ سوف نرى...

والتفت إليّ "هاري" قائلاً في كلمات سريعة:

- "آن" ..! صوبي إليه المسدس.

وكنت متهيئة أترقب صدور الأمر. فما كادت شفتاه تنفرجان عن الكلمات حتى أبرزت المسدس من داخل جوربي وصوبته إلى رأس السيد "أوستاس بيدلر".

وكانت مفاجأة لم يتوقعها أحد.

حملق السيد "أوستاس" دهشاً وذهولاً، وكذلك حملق الرجلان اللذان يحفان بـ"هاري".

دوى صوت "هاري" في نذير ووحشية:

- "آن" ... أطلقني عليه النار فوراً إذا أبدى أحد أي حركة... إياك أن تترددى .
فقلت :

- ثق بأنني لن أتردد .

وبان الخوف في وجه السيد "أوستاس" حين رأيته ألوح بالمسدس وهتف
برجليه :

- لا تتحركا .. إن إصبعها على الزناد .

وقال "هاري" :

- مُرهما أن يغادرا الغرفة .

وأصدر إليهما "أوستاس" أمره بالانصراف، وأغلق "هاري" الباب وراءهما،
وأحكم إغلاقه بالرتاج . ثم تحول إليّ وأخذ المسدس وقال السيد "أوستاس" :

- يا إلهي !! من أين جاءت "آن" بهذا المسدس؟ لقد فتشت بنفسي متاعها،
فقاطعه "هاري" :

- دعك من المسدس ولا تضيع الوقت عبثاً . ولنناقش ما جئنا من أجله .

فتأمله السيد "أوستاس" بنظرة طويلة وقال :

- لا أنكر أن لك الآن اليد العليا، ولكن ألا تعلم أن البيت مملوء بأعوانني؟

فأغرق "هاري" في الضحك وقال :

أتحسب حقاً أنه انتصار مؤقت؟ إذن أنصت إلي هذا ...

فقد ارتفعت من الطابق الأسفل في هذه اللحظة طرقات على الباب، ثم دوي
طلقات نارية .

وشحب وجه السيد "أوستاس" وقال متسائلاً :

- ما هذا؟ ما هذه الضجة؟

- هذا هو الكولونيل "ريس" ورجاله ...

- ولكن كيف جاءوا؟ من الذي استدعاهم؟

- هدى من روعك يا سيد "أوستاس" .. إنك لا تعلم أن بيني وبين "آن" اتفاقاً

شفوياً في كتابة الرسائل .. إننا نعلم أننا معرضان خلال هذه المغامرة للوقوع في المكائد؛ ولذلك اتفقنا على أن نضمن كل رسالة يكتبها أحدهنا للآخر حرف الـ"واو" مشطوباً، فإذا لم يرد حرف الـ"واو" المشطوب ضمن الرسالة عرفنا أن كاتبها أكره على كتابتها بالتهديد. فلما جاءتني رسالة "آن" التي تستدعيني فيها إلى الحضور، بحثت في سطورها عن حرف "واو" مشطوب فلم أجده، فأدركت أنك أرغمتها على تحرير هذا الخطاب، فذهبت به إلى الكولونيل "ريس" واتفقنا على خطة العمل. وهكذا بعث "ريس" ببعض رجاله يرقبون متجر التحف ويحيطون به من جميع نواحيه. فلما غادرته من باب سري غير الباب العام الذي دخلت منه، تعقبني المخبرون السريون، واكتشفوا موقع عرين الأسد.

واشتدت الضجة المتصاعدة من الطابق الأسفل، وبدا أن رجال الكولونيل "ريس" شرعوا يحطمون الباب. واشتد دوي الرصاص صادراً من ناحية الطريق، وتعالَت الصرخات، وقال السيد "أوستاس بيدلر":

– يبدو أن الثورة قد اندلعت.

وكان على حق في هذا فقد دوت بعض طلقات المدافع وسقطت قبلة على البيت المقابل فهدمت جزءاً من البناء وأشعلت فيه النار. حتى كاد أوار اللهب يلفح وجه السيد "أوستاس" ورفاقه.

وقال "هاري رايبورن":

– لقد انتهت اللعبة يا عزيزي "أوستاس" .. إنك الآن في قبضة العدالة وفي

هدوء قال له السيد "أوستاس":

– اتظن ذلك؟ إنك مخدوع يا صديقي، فما زالت عندي كلمة أخيرة ..

أقولها .. ربما استطعت أن تبرئ نفسك من تهمة سرقة جواهر "كمبرلي"، وربما أمكنك أن تبرهن على أنني السارق، ولكنك لن تستطيع أن تقيم الدليل على أنني قاتل الراقصة "نادينا"، فكل ما لديك ضدي هو أنني كنت موجوداً في "مارلو" يوم وقوع الجريمة، ولكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن بيني وبين هذه المرأة

أية علاقة ..

ثم أردف السيد "أوستاس" في اعتداد وثقة:

- أما أنت فالأمر مختلف بالنسبة إليك . فأنت تعرفها، ولديك الدافع إلى قتلها، ثم إن لك سجلا حافلا بالجرائم .. ثم لا تنس يا صديقي أنك لص، ولا تنس أيضا أن الأماسات موجودة عندي في حوزتي وهي الوسيلة الوحيدة إلى تبرئتك من تهمة السرقة .

ثم رفع ذراعه وهو يقول:

- وها هي ذي الأماسات يا صديقي .

وطوحها بأقصى قوته عبر النافذة إلى البيت المجاور الذي كانت تلتهمه النيران فوقعت وسط اللهب المندلح .

وقال السيد "أوستاس" ضاحكا في سخرية:

- ها هو ذا دليل براءتك من تهمة سرقة "كمبرلي" قد ابتلعت النيران؛ ولذلك يمكننا الآن أن نتبادل الحديث في حكمة وتعقل، إنك تريد أن تطهر اسمك من تهمة سرقة الأماس، ودليل براءتك ذهب طعمة للنيران . ولكنني على استعداد لأن أحرر لك اعترافا بأنني أنا السارق وأنني أنا أيضا الذي قتلت الراقصة "نادينا"، وذلك مقابل أن تطلق سراحني وتدعني أذهب إلى سبيلي .

وهتف "هاري":

- محال .. لن أقبل هذا العرض إطلاقا .. محال أتخلى عن "ريس" وأدعك

تهرب حتى لو كان ذلك على حساب حريتي .

وضحك السيد "أوستاس" قائلا:

- إنك أحمق مجنون! أترفض هذا العرض السخي الذي فيه نجاتك . وذلك

لأمر ليست سوى اعتبارات أدبية؟

وقال "هاري" في إصرار:

- إنني أرفض .

وسمعت طلقات نارية تدوي داخل البيت ووقع أقدام مسرعة ترتقي الدرج، ثم قرع على الباب، وحرك "هاري" المزلاج ودخل الكولونيل "ريس" شاهرا مسدسه وقال يخاطب سيد "أوستاس":

- أخيرا وقعت في يدي ولا مهرب لك.

فتطلع إليه في هدوء واستخفاف قائلا:

- ماذا تعني بهذا الهراء الذي تردده؟

فأجابه "ريس":

- أعني أنني اكتشفت شخصيتك الحقيقية يا سيد "أوستاس" .. أعني أنني أعرف أنك الكولونيل! وآخر تهمة أوجهها إليك هي أنك قتلت الراقصة "نادينا". ففي اليوم الثامن من شهر كانون الثاني (يناير) لم تكن موجودا في "كان" كما تدعي وإنما كنت موجودا في "مارلو" ساعة مصرعها.

- حقا؟ ومن أين جئت بهذه المعلومات القيمة؟ من صاحبنا "هاري رايبورن"

سارق الماسات "كمبرلي"؟

- كلا.. بل من شاهد آخر...

وفتح الكولونيل "ريس" باب الغرفة، وأوما بيده. وتلبية لإشارته دخل الغرفة

القس "شيستر".

وقال الكولونيل "ريس":

- هذا هو الشاهد الذي سيبعث بك إلى المشنقة يا سيد "أوستاس".

وتطلع السيد "أوستاس" إلى رجله الذي غدر به وغمغم قائلا في مرارة وأسى:

- صدق من قال: «عندما تغرق السفينة تفر منها الجرذان».

وانبريت أقول:

- وثمة شيء آخر يا سيد "أوستاس" .. إنك تعتقد أنك رميت الماسات وسط

النار، ولكن هذا غير صحيح، فإنك لم تلق في النيران إلا قطعة من الزجاج، فإننا لم نخبئ الماس الحقيقي في لفافة الفيلم، وإنما وضعنا بدله بعض قطع زجاجية على

سبيل التمويه .

فسألني السيد "أوستاس" في فضول :

- وهل يمكن أن أعرف أين خبأتم الالماسات ؟
فضحكت وأجبتة :

- في بطن دمية الزرافة التي رجوناك أن تحملها .

- يا إلهي ! .. ما أغباني إذن !

وانبرى "هارى رايبورن" يقول :

- لقد أدهشك أن ترى مسدسا في يد "آن بيدنجفيلد" ، وتساءلت كيف وصل

إليها، فاعلم إذن أن مساعدك "شيستر" هو الذي دسه في متاعها .. لقد استطعنا
أن نضمه إلى صفنا في الآونة الأخيرة .

فعاد السيد "أوستاس" يردد من جديد :

- صدق من قال إن الجرذان تسارع إلى الهرب فور أن توشك السفينة أن تغرق .

وفي استسلام وخنوع مد يديه إلى القيد الحديدي . ودارت الأغلال بمعصميه
وغادر الغرفة منكساً رأسه مخذولا .

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة

لكاتبة الأجيال

أجانا كريستي

ادفع ثمن (5) روايات واحصل على (6) روايات

أخي القارئ العربي :

تحية طيبة وبعد ،

هل سبق لك أن سمعت عن كاتبة الأجيال "أجانا كريستي" ؟

نعم .. إنها أشهر من كتب الروايات البوليسية ..

هذه فرصتك اليوم .. وليس غداً، إن (دار ميوزيك) تتيح لك هذه الفرصة

النادرة، لاقتناء جميع روايات الكاتبة العالمية أجانا كريستي .

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (3) ثلاث دولارات أمريكية ، و ثمن (6) ست روايات

(15) خمسة عشر دولاراً أمريكياً ، وبذلك تدفع ثمن (5) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجاناً .

ترسل الطلبات بالبريد المسجل (المضمون) بموجب شيك مسحوب على أي

مصرف (بنك) في "لبنان" وبالدولار الأمريكي،

(دار ميوزيك) لا تتحمل مسؤولية إرسال أية مبالغ نقدية داخل الرسائل !

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها ...

سارع في إرسال طلبك !

جريمة على ضفاف النيل	23	ابنة الفراغة	1
الجرائم الثلاث	24	جريمة الفندق	2
جريمة في بيت الطالبات	25	أخطاء القضاء	3
جريمة في الجو	26	أدلة الجريمة	4
جريمة في الصحراء	27	الإرث الدامي	5
جريمة في قطار الشرق	28	أصابع الاتهام	6
جريمة قتل	29	امرأة خطيرة	7
الجريمة الكاملة	30	بيت الأحلام	8
امرأة في مازق	31	بواعث الجريمة	9
الجريمة المستحيلة	32	بيت الأهوال	10
الجريمة المعقدة	33	التضحية الكبرى	11
الشاهدة الوحيدة	34	الضحية	12
جزيرة الموت	35	الجثة التي اختفت	13
جنون الانتقام	36	الجثة الثانية	14
الحادث	37	جثة في المكتبة	15
الحب الذي قتل	38	الجريمة الأخيرة	16
الرجل الرابع	39	جريمة أم	17
ذات القناع الأسود	40	جريمة فنية	18
ذات الوجهين	41	جريمة بلا شهود	19
رجل بلا وجه	42	الجريمة تدق الباب	20
غانية باريس	43	اللغز المثير	21
رصاصة في الرأس	44	جريمة عائلية	22

القصاص	71	رعب في المدينة	45
القصر الرهيب	72	الزائر الغامض	46
القضية الكبرى	73	ساعة الصفر	47
الكأس الأخيرة	74	السر الرهيب	48
كلب الموت	75	ساحر النساء	49
ليل ليس له آخر	76	سر القصر الكبير	50
مأساة ذات ثلاثة فصول	77	سر المنبهات السبعة	51
الماضي الرهيب	78	سيدة القصر	52
المتهم البريء	79	شاهد للتحقيق	53
المتهمة البريئة	80	الشاهد الصامت	54
المصيدة	81	نقطة الدم	55
مغامرات بوارو	82	الشيخ القاتل	56
الثعلب	83	شرخ في المرأة	57
الموت المقنع	84	الشیطان امرأة	58
موعد في بغداد	85	إخناتون	59
موعد مع الموت	86	الطائر الجريح	60
نادي الجريمة	87	الطائرة المفقودة	61
الوصية المفقودة	88	الطيور السوداء	62
الجريمة المزدوجة	89	عدو بلا وجه	63
الياقوتة الحمراء	90	العميل السري	64
جريمة بلا شك	91	العنكبوت	65
غريم بوارو	92	الفتح	66
وجه من الماضي	93	القاتل الرابع	67
خاتمة المأساة	94	القاتل الغامض	68
الحصان الشاحب	95	القاتل والمقتول	69
		قاتل المليونير	70

اقطع الكوبون ادناه، وضع علامة على رقم الروايات التي تريدها، وارسله مع الشيك

على اي مصرف (بنك) في "لبنان" بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 - جونية - لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **Dar Music**

وان يكتب على الشيك عبارة " بصرف للمستفيد الأول فقط "

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21
40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
50	49	48	47	46	45	44	43	42	41
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51
70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
80	79	78	77	76	75	74	73	72	71
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81
100	99	98	97	96	95	94	93	92	91

الاسم : _____

العنوان : _____

ص.ب. : _____ المدينة : _____ الرمز البريدي : _____

الدولة : _____

مرسل طيه شيك بمبلغ : _____ دولار أمريكي .



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نَصَّبها ملكة عليهم جميعاً. تميَّزت أيضاً بأنَّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالَت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضاً أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنَّ الخير هو المنتصر في النهاية.

موعد مع الموت

The Man in the Brown Suit

لقد اكتشفت «آني بيدينغفيلد» أن لديها أحد مفاتيح جريمة قتل في هذه المدينة النائية، فمن خلال هذه القصة الورقية الغربية أمكنها أن تربط بين سرقة الألباس وحادثة الموت العرضية ومحطة السكة الحديد بـ «لندن». ورحلة «آني» لحل هذا اللغز تتطلب منها الابتعاد لأبعد الحدود إلى «إفريقيا» وتسلق الجبال بجهد في كل خطوة تخطوها.

ثمن الكتاب

ISBN 995338256-5



9 789953 382562

قطر _____ 10 ريات

عُمان _____ 1.5 ريال

مصر _____ 10 جنيهات

المغرب _____ 30 درهما

ليبيا _____ 5 دنانير

تونس _____ 4 دنانير

اليمن _____ 400 ريال

لبنان _____ 5000 ل.ل.

سوريا _____ 100 ل.س.

الأردن _____ 2 دينار

السعودية _____ 10 ريات

الكويت _____ 1 دينار

الإمارات _____ 10 دراهم

البحرين _____ 1.5 دينار